كبير

١٠٧٥
١٣٧٠

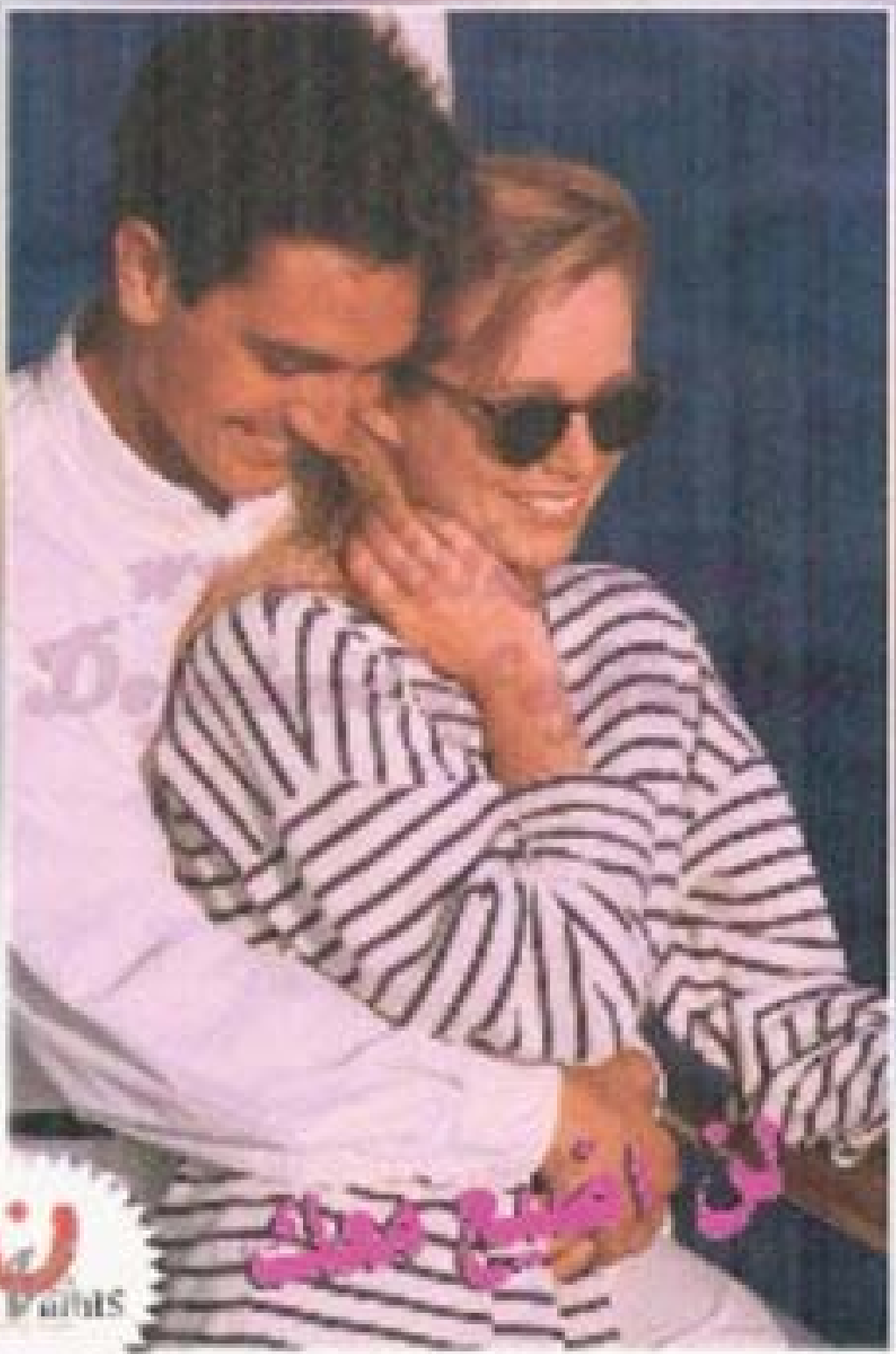

صادر عن دار الحلم

لن اضيع معك

تزوجت جاين من جيمس بعد قصة حب عاصف خلال فترة العطلة. عندما عادا الى لندن وواجها متاعب الحياة اليومية بدا ان شهر العسل قد انتهى.

اكدت جاين لنفسها ان زواجها قوي بما فيه الكفاية كي يصمد امام أي خطر لأنهما وجهين بعملان بعضهما.. او هل هذا صحيح؟

تزوجت جاين من جيمس بعد قصة حب عاصف خلال فترة العطلة. عندما عادا الى لندن وواجها متاعب الحياة اليومية بدا ان شهر العسل قد انتهى.

اكدت جاين لنفسها ان زواجها قوي بما فيه الكفاية كي يصمد امام أي خطر لأنهما وجهين بعملان بعضهما.. او هل هذا صحيح؟

52-87000-34707-5

لن اضيع معك

«ألم أخبرك بأني اطمح الى منصب رئاسة التحرير في المجلة؟ فانا لم أعمل كل تلك الساعات الإضافية وأشتغل بكد لسنوات عدة كي اضيّع فرصتي الكبرى!»

«لم اكن اعلم أني وقعت في حب امرأة طموحة الى هذا الحد. لكن كل ما اريد معرفته هو انك تحبينني بقدر ما أحبك.»

«ألم أظهر لك ذلك؟ لماذا تظنني تزوجتك؟ لأنني احبك وأريد ان ابين لك مقدار هذا الحب طوال عمري.»

الفصل الاول

كانت شبه مستيقظة تتمطى بتراخ غير معتاد، حين أمسكت يداها بقوة حانية وثبتتا على الوسادة فوق رأسها.

«كلا!» قالت باحتجاج ولكن الكلمة خرجت كتمتمة استحسان وتقدير، كون تمنياتها الحقيقية ترجمت على نحو صحيح. بل انه اسبق نيتها فتحعينيها فأغرق جفنيها بقبلات ناعمة كرفرفات فراشة.

لو ان خيالها بلغ أوج التكهن والتوقع لعجز عن تهيئتها لتلك السعادة والمشاعر الحادة التي تصاعدت في كيانها باندفاع لا يقاوم...

اطلق احدى يديها ثم طوق خصرها وعانقها وبعد لحظات ابتعد عنها، ففتحت مقلتيها بتمهل وطالعتها عيناه اللتان سببتا لها مشكلة جمة من اول يوم رأتهما، سوداوين تقريبا ولكنهما في الاصل بنيتان داكنتان تلتمعان بومضات عنبرية، وكانتا الآن تتوهجان بما يشبه المرح مع انهما تألقتا ذلك اليوم بالغضب. كان ذلك منذ اسبوعين فقط. من كان ليصدق بأنها تصرفت آنذاك بمنتهى الوقاحة؟ ومع ذلك..

قال مبتسماً:«حدثيني عن نفسك، اروي لي قصة حياتك.»

«ماذا...؟» بادلته ابتسامته «ماذا تريد ان تعرف بالتحديد؟»

«كل شيء، في اي مدرسة تعلمت، من كانت صديقتك المفضلة، اين كنت تمضين الإجازات في صغرك... أوه، كل شيء بالتفصيل.» وعاد يقبلها على وجهها فاختفى جوابها.

في وقت لاحق، كان يجلس على الشرفة، ولما اقبلت نحوه سألها إن كانت تريد تناول الفطور. وما ان رأت تعابير عينيه حتى شعرت بالحرارة تورد وجنتيها، وعبثاً حاولت إخفاء ذلك برفع شعرها الاشقر الذي تهاوى على وجهها.

ابتسمت لحظات طويلة تبادله ابتسامته الحميمة وقالت بدلال:«الإفطار فكرة حسنة إنما افضل اولا ان استحم.»

«هل اعتبر ذلك دعوة؟» وابتسم باستحسان ماكر حين احمر وجهها من جديد.

شعرت بالهشاشة. وفرضت عليها غريزتها بأن ترد بإيجابية وهي ترمق شعره الرطب:«حسبت انك استحممت.»

«لن أذوب إذا اخذت حماماً آخر.» ثم نهض وحضنها

بحنان وقال ملامساً قميصها الحريري:«ولكن يجب ألا اضايقك يا حلوتي. فمن الأكيد انك غير معتادة على هذا الوضع، ولذا قررت...»

قاطعته وقد استردت شيئاً من ثقتها بنفسها:«بوسعي ان اعتاد عليه بسهولة.»

«لكن ليس بالسرعة المطلوبة، أليس كذلك؟»

ابعدها عنه قليلا، متأملا شعرها اللمّاع المنسدل على كتفيها، وعينيها الخضراوين الواسعتين وشكل شفتيها الرائع وقال بصوت خفيض مركز:«اشعر بأني سأجد صعوبة في الاعتياد على كل ما فيك.»

قالت بدلال وهي تتجه الى الحمام:«صحيح، فأنت لا تعرف الا القليل عني، يا جيمس برنارد.»

في وقت لاحق من ذلك اليوم، نظرت الى رأسه الاسود الشعر، المستلقي على الوسادة بقربها واستغربت الموجة العاطفية الجامحة التي اجتاحت كيانها، ولكنها كبحت رغبتها في مد يدها لتزيح خصلاته الداكنة عن جبينه. ظهر شيئاً من العبوس على وجهه وكأنه كان بدوره محتاراً ومندهشاً من كل ما جرى خلال الايام السبعة التي انقضت على مغادرتهما مطار هيثرو.

منذ سبعة ايام بدأت جاين إجازة عادية مريحة في

جزر الكاريبي، ولكنها تحولت الى غير ذلك. وهنا تورد وجهها وابتسمت حين فكرت بأن تلك الإجازة لم تكن عادية ولا مريحة!

لقد لاحظته قبل ان يحس بوجودها او يلتفت إليها... مع انه احتج مراراً وتكراراً منكراً هذه الحقيقة. كان قد وصل متأخراً الى قاعة المغادرة في المطار، وبدا شديد الثقة بنفسه، الأمر الذي لم يقلل من اهتمام المضيفة به، إذ كانت تحوم حوله وتسهل له المعاملات وكأنه أحد افراد الأسرة المالكة.

كانت جاين تضع نظارة سوداء وتخفي وجهها خلف نسخة من مجلة، فلاحظت وسامته الفريدة التي وضعته خارج نطاق اهتمامها. فهي لم تنجذب الى الرجال المفرطي الوسامة لإيمانها بأنهم يكونون عادة مغرورين ومعتادين على التسلط، برغم انها اعترفت بالسعادة البسيطة التي دغدغت قلبها، إلا انها صممت على الا تدع ذلك يؤثر بتاتاً على موقفها.

بالطبع هي... ولّدت الذكرى ضحكة في حلقها ولكنها كتمتها لئلا توقظه. بالطبع لم تقصد ان تدلق ذلك العصير على رأسه في الطائرة كي تستحوذ على اهتمامه. مع انها لا تستطيع الانكار بأن الشراب اندلق عليه بقوة وفجائية. كان غافلاً

عن كل شيء، يقرأ رواية بهدوء، وفي اللحظة التالية هب واقفاً ينفث حمم غضبه.

تمنت آنذاك لو قبل ان تقول: «أنا آسفة، جداً! أنا...»

رد بحنق وعيناه تقدحان شرراً: «هل من عادتك ان تقذفي الشراب على الناس؟»

«كلا.» ردت بصوت مرتجف وقد شق عليها ان تساهم في مشهد علني كهذا في بداية رحلة شيقة ومريحة ثم أشارت الى الأم وطفلتها الجالستين بجوارها وأضافت شارحة: «لقد اضطرتا للمرور من امامي، وخطر لي ان اقف لأسهل عليهما الأمر...»

«تقصدين انه من الاسهل عليك وضع اللوم عليهما.»

«لا، لم يكن هذا ما اردت قوله.» لم تكن مستعدة للتساهل معه الى هذا الحد وتابعت: «اعتقد انك شعرت ببعض الارتجاج. وكنت اقف لحظة سقوط الطائرة في جيب هوائي وحملت الكوب لأضمن عدم اندلاق العصير، ولكنه انسكب على الرغم مني. وأرجو ألا تكون تخيلت بأني فعلت ذلك عمداً.»

في هذا الوقت كانت المضيفة قد هرعت إليه وأخذت تجفف سترته وتتمتم كلمات كان المقصود منها

www.liilas.com Property of Liilas

تهدئة خاطره ولكن جاين وجدتها مزعجة للغاية.
قال معلقا على شرحها:«لست متأكدا من ان هذه هي الحقيقة.» رمقها بنظرة غاضبة أخيرة وكأنه يقول ان حدتها هذه ليست بجديدة عليه، ثم أشاح بوجهه عنها وهز الكتاب الذي لم ينج بدوره من التبلل، جلس ثانية على مقعده، الأمر الذي اضطرها للحذر ازاءه وهي تغلي غضبا.
هكذا جلست خلفه، تراقب مؤخرة رأسه المغرور وذهنها يغزل اشكالا متنوعة من وسائل التعذيب التي كانت ستلائم الموقف. انه معتز بنفسه، ومغرور... صفات توقعت ان تجدها في رجل على غراره. انه من النوع الذي ما أن يحرك اصبعه حتى تدور النساء حوله. استرخت على مقعدها وأغمضت عينيها لتحجب المقارنة. من ناحية اخرى، لم يبد انه لاحظها كامرأة وهي معتادة على ان تلاحظ كأنثى. كان من الخير لو انها وفرت على نفسها تعب اختيار ثياب سفر جذابة ومتناسقة.
ارتدت تنورة بنية فاتحة من التويد الناعم، تظهر رشاقة ساقيها الطويلتين، وسترة قصيرة ذات مربعات بُنية وخضراء.
تنهدت بعمق وتمنت لو ان الرحلة تنتهي لتستقر في الفندق، كذلك أملت الا ينزل في الفندق ذاته،

فالوضع سيكون رهيباً إذا ما اضطرت الى تمضية العطلة في تبادل النظرات الغاضبة عبر ردهات الفندق. في أي حال، لم يبق سوى ساعتين على هبوط الطائرة ومن الخير ان تحاول نسيان الحادثة حتى ذلك الوقت.
احتشدوا حول مكتب الاستقبال في فندق أوشن باي الفخم ينتظرون توزيعهم على غرفهم. ابتسمت جاين وتراجعت قليلا لتفسح الطريق لكارلا، جارتها في الطائرة والتي تسببت بطريقة غير مباشرة في اندلاق العصير. ثم لمست الطفلة المتعلقة بعنق أمها وقالت:«تبدو مرهقة.»
ابتسمت كارلا باعياء:«وانا ايضاً، فالوصول في منتصف الليل امر شاق وأنا أكرر هذه الغلطة دائما.» ثم قبلت ابنتها وأردفت:«لقد استيقظت عند الفجر، وتعلمين هشاشة الإطفال...»
لكن جاين لا تعرف شيئا عن الاطفال، وشعرت بما يشبه الارتياح. إذ يكفي ان يتكفل المرء بنفسه في هذه الرحلات الجوية الطويلة من دون ان يكون ملزما برعاية طفل.
جاء دورها فتسلمت المفتاح من الموظف الذي وضح لها بأن الطعام سوف يرسل الى غرفتها، ولما تراجعت خطوة، شعرت للتو بأن كعب حذائها

العالي داس بقوة على قدم شخص ما. «أوه، أنا أسفة...» استدارت بسرعة وجفت الكلمة على شفتيها حين واجهت قسمات الرجل المتقلصة ألما، ما لبث أسفها ان تحول الى غضب لا منطقي وهتفت:«هل من عادتك التسلل من وراء الناس على هذا النحو؟»

أجاب بسخرية:«آه، حسبت انك ستعتذرين لي ثانية. وهذه المرة من محاولتك إحداث ثقب في قدمي.»

عجزت عن النطق، ورأت الموظف يسلمه مفتاحه، ثم قادهما صبيان باتجاه المصعد، حاملين حقائبهما الثقيلة، احست بالغضب من الطريقة التي كان يعرج بها، ورفضت ان تلين لابتسامته التي لاحظتها بطرف عينها وهما يرتقيان الى الطبقات العليا.

كانت ماتزال حانقة عندما توقف المصعد. التقطت حقيبتها اليدوية الثقيلة التي حوت، إضافة الى التذاكر وجواز السفر، بضعة كتب ومجلة وتشكيلة من زجاجات مستحضرات العناية بالجلد، ولما طوحتها لتعلق حمالتها على كتفها، اختار تلك اللحظة بالذات ليرفع حقيبته فإذا بحقيبتها الثقيلة تسقط على يده بعنف. حاولت ان تغض

النظر عما حصل ولكن الدم تدفق الى وجهها. وقف يفرك يده ويحدق إليها هذه المرة باهتمام وإمعان، ثم علق بنبرة متفهمة أكثر مما هي متذمرة:«يبدو واضحا انك تضمرين لي السوء، اليس كذلك؟»

غادرت المصعد بسرعة ووقفت تنتظر الصبي الحمال ليفتح باب الغرفة رقم 306، وعندها اجابته:«لا تجامل نفسك!» وعندما اصبحت في غرفتها تذكرت بأنها رأته يفتح باب الغرفة رقم 307.

لن تقبل بهذا الوضع! فغدا صباحا، بعدما تنام وتستريح تماما، ستطلب من إدارة الفندق بأن تنقلها الى حجرة اخرى. من المستحيل ان تتحمل وجوده القريب، واصغاءه من خلال الجدار الى حركاتها وسكناتها كلما استعملت الحمام. ومع ان الشرفات بدت محجوبة كليا انما سيسهل عليه نسبيا ان يخترقها إذا ما صمم على ذلك...

قرع بابها فاستدارت، ثم فتحه نادل بشوش ودخل بصينية طعام، وضعها على الطاولة وانصرف. لم تكن جائعة بالفعل ولكنها استمتعت بتناول الحساء المثلج وشريحة الخبز الساخنة. تركت العجة والسلطة وأكلت الفاكهة المنعشة. بعد ذلك بدا لها السرير العريض بشراشفه القطنية

الباردة اجمل مكان في الدنيا وأشده ترحيباً. نامت براحة وعمق، وحتى فكرة وجود ذلك الشاب الأسمر على بعد إمتار منها لم تكن كافية لتؤرقها. استيقظت صباحاً ولم تشعر بالغضب من غيظ الأمس وتوتره، بل لم تعد واثقة من رغبتها في الانتقال الى غرفة اخرى. وعندما خرجت الى الشرفة ونظرت حولها، تأكدت من انها ستتردد كثيرا في التضحية بمشهد كهذا. انحنت على الدرابزين وانبهرت بمرأى السماء الصافية والبحر المرصّع بجزر صغيرة متألقة، وبالأمواج المتكسرة بزبدة كسول على الرمال الناصعة البياض. كلا، لن تتنازل عن هذه الغرفة لمطلق سبب، وإذا ما ازعجها ذلك الشخص مرة اخرى فسوف تلح على إدارة الفندق بأن تبدل غرفته.

رفعت الفكرة معنوياتها، فملأت رئتيها بالنسيم العطر العليل وعادت الى الداخل وهي تدندن بمرح وأخذت تستعد للخروج. بدت فاتنة في ثوب السباحة الجذاب وقالت في نفسها وهي تدور أمام المرآة، هذه احدى حسنات العمل كمراسلة أزياء لمجلة شهيرة. الملبوسات الباهظة الثمن التي تستعمل للتصوير والنشر، كثيراً ما تباع للعاملات في مجلة بوموند اللندنية بجزء بسيط من اسعارها الحقيقية.

ومثال ذلك، هذا المايوه الأسود الموشح بلون أخضر والذي يظهر مفاتنها، سيكون اعلانا ناجحا لدليل الرحلة التسويقي، عندما تظهر فيه حول حوض السباحة وقت الافطار.

انتعلت صندلاً عالي الكعب. ولما رفعت حقيبة يدها ابتسمت قليلا وأزالت منها نصف محتوياتها، فلماذا تحمل كل هذه الاغراض، ما يكفيها كتاب واحد للقراءة.

لقد قررت ان تمضي ذلك اليوم في استرخاء تام، تتخلله بضع غطسات في البحر. ولكن قبل كل شيء، يجب ان تأكل، فهي جائعة جداً ومستعدة لتناول أي شيء يقدمه الفندق.

كانت تضغط على زر المصعد حين سمعت باباً يفتح ثم يغلق فعرفت من دون ان تلتفت صاحب الظل الذي انطرح عليها.

قالت:«صباح الخير.» ثم ولجت المصعد غير ناظرة إليه وطفق قلبها يخفق وحال دون سماعها جوابه. رأت فقط اصبعا طويلا يمتد الى لوحة الازرار، ولاحظت الساعة الذهبية على معصمه.

سأل:«الى قاعة الاستقبال؟»

شيء في تصرفه جعلها تنظر إليه. وتوترت فوراً من جراء تعبيره المتسلي ولكنها شعرت بالامتنان

كونها استبقت الأمور ووضعت نظارة سوداء. أجابت ببرودة تامة:«اجل. من فضلك.» وهي تنظر أمامها وكأن باب المصعد البرونزي يستطيع محو الصور التي رأتها عنه... سروال بلون الرمل، وحذاء بني، وقميص مفتوحة الصدر تظهر جلده الاسمر، وقد سرها لسبب ما، انها لم تر على صدره اي أثر للسلاسل الذهبية التي يتزين بها رجال عديدون هذه الأيام.

«هل سامحتني؟» كان صوته عميقاً وجذاباً مثل صورته.

«سامحتك؟» اوحت نبرتها الجوفاء المتعمدة بانها لم تفكر فيه حتى هذه اللحظة، ورفعت حاجبيها ببرود علها تثبط عزيمته.

كتمت ضحكتها بصعوبة وقالت:«أنسيت أيضاً... حادثة المصعد؟»

«اجل، تلك ايضاً. اعتداء وضرب بحقيبة ثقيلة. هل أنت امرأة سياسية؟ ان كنت كذلك، فهل تراك تطلبين مني ان آخذ مركزك السياسي بعين الاعتبار؟»

لم تجد القدرة ولا الجدوى من كتم ابتسامتها ثم قالت:«من الخير ان تفعل ذلك.»

عندما نظرت في عينيه أجفلها الاعجاب والاهتمام المرسومين فيهما. كما اجفلها تجاوبها السريع.

انه رجل جذاب بالفعل، وهي في إجازة، و... تابع يقول:«إذن، بما انها جنحتك الأولى فسأكون مسامحا وأحكم عليك بتمضية الصباح معي في رياضة الغوص.»

«لحظة من فضلك.» كانا غادرا القاعة المبردة واتجها نحو المطعم وتابعت:«حسبت في البداية انك انت المذنب الذي يسعى الى عفوي، فلماذا إذن حوكمت أنا؟»

فتح لها الباب الزجاجي كي تمر، وفيما هما ينتظران قدوم نادل، رفع كفيه مستسلماً وقال:«ليكن ما تريدين.»

اقترب النادل بعدما خاطبه جيمس بنبرة حازمة لاحظتها جاين انما لم تضايقها كثيرا:«نود ان نتناول الفطور في الهواء الطلق. غرفة 306 و307.» ثم قادها من مرفقها عبر الابواب الواسعة الى الشرفة حيث كانت الطاولات المظللة موزعة حول حوض السباحة.

ألقت تحية الصباح على شخصين تعرفت اليهما في الطائرة وشعرت بالخجل يورد محياها وخصوصاً حين رأت كارلا ترفع حاجبيها استغراباً لدخولها بصحبة جيمس. بعدما جلسا الى إحدى الموائد وجاءها النادل بعصير برتقال طازج،

عاد رفيقها يسألها:«حسناً، بماذا ستحكمين؟» رشفت بعض العصير وأشاحت وجهها عنه تنظر الى الخليج وهي ماتزال تتردد في الاعتراف لنفسها بمدى الإثارة والانفعال اللذين تحسهما برفقته. قالت اخيرا:«اني احاول اختيار الحكم المناسب، وأظن ان اقتراحك قد يكون عقاباً كافياً لأني لم أجرب الغوص ابداً.» رمشت أهدابها ونظرت الى صحنها ثم تطلعت إليه وأردفت:«ولكنني اعرف السباحة وأستطيع قطع حوضنا بالعرض، وفي إحدى المرات قطعته بالطول، مرة واحدة فقط.»

كان يرمقها باهتمام، ثم ابتسمت فجأة وقال وهو يسكب القهوة لهما:«إذن هناك امور كثيرة استطيع ان اعلمك إياها. ولكن قد يكون من الافضل ان نبدأ بالتعرف الى بعضنا البعض. انا جيمس برنارد.»

«اسمي جاين وايت.» واستغربت خجلها وكأنها مراهقة ساذجة. ثم رحبت بالتغيير حين جاء النادل بخبز وزبدة وتشكيلة من المربيات والفاكهة. وقال جيمس بعدما قضم قطعة خبز بأسنانه الناصعة:«لم يخطر لي ان يكون اسمك جاين، ولكنني قررت الآن بأنه يناسبك.»

اجابت محاولة اخفاء استيائها:«وأنا لم أفكر فيك كجيمس او كأي شيء آخر.»

تمعن فيها بحنان جعل ركبتيها تصطكان، وأجاب بذلك الصوت العميق الخفيض وهو يسحب يدها من تحت الطاولة ويحضنها بيده:«انت كذابة، كذابة.» وكان في ذلك التصريح تملكية متناهية.

اتضح لها في ما بعد انه معلم مقنع، مع انه شعر براحة معينة عندما اكتشف بأنها تتقن السباحة بخلاف ما تظاهرت، وقد اعترفت بأنها مارست السباحة على شواطىء بعض الجزر اليونانية.

قال معلقاً على ذلك:«لقد جعلتني اعتقد بأنك لا تتقنين السباحة ولكنك سباحة جيدة، بل لست سيئة بتاتا بالنسبة الى امرأة.»

كانا قد صعدا الى سطح الماء بعد غوص قصير ووضعا ادواتهما على صخرة وراحا يموجان برفق مع التيار.

رفضت جاين ان تبتلع الطعم، وأذهلها كم كانت راضية ومستمتعة على السطح والتحديق في السماء الصافية، أجابته:«هذا ما كنت سأقوله عنك بالضبط.»

«ماذا؟ بأني لست سيئاً بالنسبة الى امرأة؟» ثم امسك كتفيها مهدداً وأردف:«أنا على استعداد تام لأبين لك خطأك الجوهري.»

لكنها تحررت منه بسرعة ورشاقة وغاصت في

المياه الصافية حيث التقطت حصاة ناعمة وقذفتها صوبه بعد صعودها الى السطح وقالت عائدة الى حديثهما السابق:«لست سيئاً بالنسبة إلى رجل.» ابتسم وتقدم منها ثم سبحا يضربان الماء ويحدقان في بعضهما بعضا حتى شعرت بأعصاب جسمها ترتعش ابتهاجا.

كل مظهر فيه بدا مصمماً لجذب البصر والاستحواذ عليه، بشرته السمراء، قطرات الماء الملتصقة بجسمه المتألقة كالماس، شعره الاملس المحيط برأسه كقبعة، عيناه الملتمعتان بانجذاب لم يحاول إخفاءه. «هل انت جاهزة للغوص من جديد؟» انتظر لحظة ولما لم يتلق جواباً ادرك سبب ترددها فقال يحثها:«نعم؟» «نعم، أوه، نعم!» ردت بسرعة وحماسة ندمت عليهما كونهما دلا على سذاجة.

لكن كان رائعاً وممتعاً ان تتعرف الى عالم الغوص الساحر حتى في حيز محدود كهذا، حيث تتراكض أفواج الاسماك الصغيرة الزاهية الالوان، وتتماوج النباتات البحرية مع تماوج التيار. وحدث ان شكلا هائلاً ألقى عليهما ظلاً مخيفاً جعلها تشعر لأول مرة برعب حقيقي، إلا ان جيمس أمسك بيدها مطمئناً وضمها إليه حتى مرت السمكة الضخمة فوقهما.

عندما خرجا اخيراً الى السطح وجلسا على طوف، لفت كتفيها بمنشفة وقالت بوجه متورد:«هذه الرياضة توسع آفاق الذهن! شكراً يا جيمس على اصطحابي.»

«لقد سرني ذلك، ولم يكن بأي حال العقاب الذي هددت به.»

«خسارة.» قالت بإغراء مقصود، وأخذت تجفف شعرها. «فذلك يبرر الغاية كليا.»

«إذن، بوسعك ان تفكري بعقاب آخر يلائم الجريمة بالفعل.» ثم تغيرت نبرته حين أردف وهو يجمع حوائجهما ويلقيها في الزورق الذي أقلهما:«هيا بنا، لقد أهلكني الجوع بعد كل تلك الرياضة. ما رأيك بشراب بارد قبل الغداء؟»

«فكرة رائعة.» ارتدت ثوبا قصيراً فوق ثوب السباحة المبلل واعطته يدها فساعدها على القفز بخفة الى الزورق. حين أدار المحرك وجلس في المقدمة قال لها:«بوسعك الآن ان تحدثيني بقصة حياتك.»

أكلا غداءً شهيا من سمك صدفي مطهو على البخار، وخبز وزبدة وسلطة وفاكهة. ثم استرخى جيمس على كرسيه وقال:«إذن هذا هو كل شيء عنك. هذا أقصى ما تودين الكشف عنه. اسمك جاين وايت. عمرك سبعة وعشرون عاماً، ليس

لديك ارتباطات عاطفية... شيء يصعب تصديقه، وتمضين بمفردك إجازة راحة بعد موسم مرهق في تجارة الملابس.»

زمت شفتيها باستياء متعمد وقالت:«دار بوموند للنشر لا للتجارة بالملابس، انها مؤسسة صحافية كبرى. في أي حال، هذا كل شيء عني تقريبا، وقد جئت بمفردي لأن صديقتي أصيبت فجأة بالجدري.»

«لو سألتني عن عمرك لقلت بأنك في الرابعة والعشرين.»

«حقا؟» ورفعت حاجبها الرفيع كي لا يعرف مقدار لهفتها لسماع مجاملاته.

«بل لقلت بأنك في الثالثة والعشرين.» ابتسم بمكر ثم نهض فجأة ومد لها يده فأمسكتها دونما تفكير. أردف قائلا:«والآن سأصف لك دواء للنوم فأنت ماتزالين متعبة من السفر الطويل، وقد اخذت من اشعة الشمس اكثر مما يلزم ليوم واحد.»

قادها عبر الشرفة ولدى مرورهما في المطعم لوحت جاين لبعض من اصدقائها. لن يخمنوا كيف كان قلبها يخفق محموما بين ضلوعها. لقد مرت بأوضاع كهذه من قبل إنما كانت تتعامل معها دائما بسهولة، أما الآن فقد خانتها ثقتها بنفسها

وتبخرت إرادتها فعجزت تماماً عن صد تقرباته. وصلا الى الرواق، فأخذ جيمس مفتاح غرفتها وبدا غافلا عن ارتجاف يدها. وعندما فتح لها الباب قال:«تبدين مرهقة يا حلوتي، انعمي بقيلولة مريحة، وإذا احسنت التصرف أعدك بعشاء فاخر.»

وقبل ان تعي ما يحصل لها وجدت نفسها بمفردها داخل غرفتها وقد سلب منها زمام القرار. لم تدر هل يجب ان تضحك ام تبكي. لكنها استسلمت في النهاية لحاجة أكثر إلحاحا ألا وهي النوم.

بدا امرا حتميا بأنهما سيتشاركان مائدة واحدة في المطعم، ولذا قادهما النادل الى واحدة بقرب نافذة مفتوحة يسمع عبرها خرير مياه قريبة وترى منها السماء المرصعة بالنجوم.

كانت تعلم انها تبدو جميلة وأنيقة وقد أكدت لها ذلك نظرات الاهتمام التي صوبها إليها النزلاء الآخرون. كانت تنورتها متوسطة الطول، يمتزج فيها اللون الوردي بالأخضر، وتعلوها قميص حريرية ذات حمالتين رفيعتين، إضافة الى حزام عريض ابرز خصرها النحيل، وقرطين مذهبين يصدران صوتا كلما حركت رأسها.

اما شعرها الذي غسلته بعناية فائقة فقد استرسل معطرا ولماعا على كتفيها مثل طبقات حريرية

شفافة. ومن ناحية الماكياج اكتفت بظلال عيون برونزي، وأحمر شفاه، عزز جمال شفتيها، ورشة بودرة خفيفة على بشرتها التي اكتسبت لونا برونزيا بفعل الشمس. وأخيرا رشت عطرا ناعم الأريج وحين سمعت طرقة خفيفة على الباب استدارت بسرعة من أمام المرآة وركضت لتفتحه.

كان يستند الى جدار الرواق ولكنه استقام حين فتحت الباب وأخذ يتأملها دقيقة، ثم ابتسم ولمس شعرها بأصبعه:«جاهزة؟»

أومأت، لعجزها عن الكلام ثم عادت الى الحجرة لتجلب حقيبتها اليدوية ولكن صورته وسمت في ذاكرتها إلى الأبد. بنطال داكن، وحذاء اسود، وقميص بيضاء وربطة عنق مخططة. وقد لاحظت باستحسان انه يزين كمي قميصه بزرين ذهبيين ويضع عطرا رائع الاريج.

«خسارة...» علق جيمس. عندما انتهيا من الطعام، وبدا طبيعيا يتمشيا على شاطىء البحر. رفعت بصرها الى السماء مستمتعة بملامسة الرمل لأصابع قدميها. وأحست للحظة بأنه قال شيئا إلا انها كانت مأخوذة بالليل والنجوم وشجر النخيل.

«يجب ان أغادر غدا.»

«أوه! يا لجمال هذه المشاهد!»

استدار صوبها وضغط على كتفيها بأصابعه:«لم تسمعي شيئا مما قلت. هل الأمر لا يعنيك الى هذا الحد؟» كان يحاول كتمان مشاعره فاخترقتها نبرته المنفعلة.

«ماذا؟» احست بتتغير مفاجىء في الموقف، فقبل لحظة كانت في قمة الرخاء والآن تشعر بحيرة:«ماذا قلت، يا جيمس؟»

أجابها بنفاد صبر بدأ يطغى على انزعاجه:«كنت أعرب عن مدى أسفي لأني مضطر للرحيل غدا صباحا.»

راهما شعور لم تعرف بأنه الخوف:«الرحيل؟ ماذا تعني؟»

تابع سيره وركل الرمل بقدمه:«اقصد اني حجزت في هذا الفندق لليلتين فقط. علي ان انتقل بعد ذلك الى طرف الجزيرة الآخر، فشركتي تملك بيتا هنا، و...»

سترحل؟ ستغادر؟» شعرت بالحقيقة تصفع وجهها.

أشار برأسه الى الفندق وأردف بسخرية:«هناك رجلان على الاقل، كانا يلتهمانك بنظراتهما منذ وصولنا.»

فوجئت بدموعها التي ردتها الى محجريها، وحاولت

ان تجيب بمزاح:«اجل، لو اني فكرت بالأمر لكن بوسعي انت أدلق عصيرا على احدهما. على القصير السمين، لا على الآخر النحيل، فما رأيك؟»

«انت تفضلين السمين، اليس كذلك؟ ربما استطعت بعد عودتنا الى الفندق، ان تجعليه يتعثر على الشرفة وتلقي به في حوض السباحة، وتكتشفين لحسن حظك بأنه لا يعرف السباحة.»

ضحكت وقالت:«جيمس، تبدو... أوه لا يعقل ان تغار منه؟»

«ولم لا؟»

«انه اصلع ومن دون ذقن و...» استدارت ووضعت يديها على كتفيه ثم نظرت في وجهه وكتمت رغبة في إزالة العبوس عن جبهته.

اجابها:«هذه العيوب لا تهم إذا انجذبت إليه ولو قليلا.»

«لا ادري، هل يجب ان اشعر بالغرور أم بالمهانة، هل تظن بأني كنت سأرغب برفقته حتى لو لم التق بك؟ اتخيل بأن السهرات المثيرة، في رأيه، تقتصر على لعب الداما.»

«انت مخطئة، يا حلوتي. فكل الرجال حين ينظرون الى نكون لديهم فكرة واحدة عما يشكل سهرة مثيرة. وان يفكروا كثيرا لدى وجود امرأة مثلك...»

«اهكذا تراني؟ امرأة لعوب.» سألته بصوت لاهث ويداها تطوقان عنقه.

«ان كنت لا تدركين ذلك فهذا يدل على اني بدأت افقد براعتي العاطفية.» ابتسمت متنهدة وأزاح شعرها عن جبينها، وشعرت بأنفاسه تدغدغ بشرتها بحب، وأردف قائلا:«اريدك بجنون لم اتوقع ان اصاب به. أجل، انا مفتون بك يا جاين ولا أعرف بتاتا كيف سنعالج هذا الوضع.» ثم قبلها.

«جيمس...» كانت ترتعش وتتشبث به وقد عجزت ساقاها عن حملها.

«جاين، يا حبيبتي أخشى... ان حقيقة الأمر تبدو غير معقولة ونحن لم نعرف بعضنا بعضا إلا منذ ساعات معدودة، أظن...لا، انا لا اظن، أنا اعرف بأني وقعت في حبك، وأمل بيأس بأنك تشعرين نحوي بالحب نفسه...»

هكذا... هكذا حصل كل شيء منذ أقل من اسبوع.

الآن، عادت جاين تتناول الرواية التي ينبغي ان تكملها، ولكن عندما رأت انها لم تقرأ منها سوى صفحات قليلة، هزت رأسها باستياء. وفجأة امتدت يده السمراء وسحبت الكتاب منها فالتفتت إليه وابتسمت.

قال لها:«تعلمين بالطبع انه لم يبق لدينا سوى أيام معدودة لننعم بهذا المكان الفخم؟ ما رأيك في ان نتصل برؤسائنا ونزعم لهم اننا اصبنا بالمرض، ونحتاج الى اسبوع للشفاء؟»

«أوه، وماذا نقول لهم عن المرض... هل في نيتك ان توضح؟ مرض الحب ربما.»

«إذا اردنا ان نكون صادقين.»

«لا اعتقد انه من الضروري ان نخبرهم عنا، سأعلمهم اني سأتأخر عدة أيام. هل تعتقد انهم سيطردوني من العمل؟»

«ولنفترض انك طردت. هل سيهمك ذلك كثيراً؟»

قاطعته بغضب مصطنع:«لن يهمني؟ بالطبع سيهمني ذلك! ألم اخبرك بأني اطمح الى منصب رئاسة التحرير إذا ما قررت السيدة ديفير ان تتنحى؟ فأنا لم اعمل كل تلك الساعات الإضافية وأشتغل بكد سنوات عدة كي اضيع فرصتي الكبرى، يا جيمس برنارد!»

«كان يجب ان تخبريني، إذا لم اعلم بأني وقعت في حب امرأة طموحة الى هذا الحد.»

«كما سبق وقلت، هناك أمور كثيرة لا تعرفها عني.»

«كل ما اريد معرفته هو انك تحبينني بقدر ما أحبك.»

ردت بجدية وتركيز:«ألم أبين لك ذلك؟ لماذا تظنني تزوجتك، يا جيمس؟ لأني احبك وأعتزم ان ابين لك مقدار هذا الحب لسائر أيام حياتي.»

www.liilas.com Deprived of Reason

الفصل الثاني

تقدم منها جيمس وكانت تقف أمام المرآة تسرح شعرها وتعقصه الى الوراء في تسريحة فرنسية تعتمدها في أوقات العمل. انحنى حتى لامس خده خدها، وقال وعيناه تبرقان باقناع ذكي:«كان يجب ان تتصلي بالمكتب وتعلميهم بأنك في حاجة لبضعة أيام اخرى...»

«جيمس!» احتجت بصوت لاهث واتسعت عيناها ذعرا ثم سارعت الى تثبيت شعرها بدبوسين كانت تمسكهما وأردفت:«إنك لن تجرؤ!»

«لم أجرؤ على ماذا؟» أدار بسرعة جسمها النحيل:«على ماذا؟» كرر السؤال وهو يعانقها، فتنهدت باسترخاء وأخذت تبادله النظرات وتمرر اصابعها في شعره الكث.

سيكون سهلا جدا ان تستسلم لهتاف مشاعرها، فهذا ما تتوق إليه كثيرا ولكن...

«جيمس!» هتفت بذعر وانسلت منه فجأة:«لا تفعل ذلك، ارجوك! انا اطلب منك ان تساعدني لا ان تعرقل طريقي.»

على الرغم من اعتراضها ادركت بأنها سحرته لأنه

وقف يتأملها بشوق، سارعت الى تبديل ثيابها وكانت مؤلفة من تنورة سوداء وكنزة صوفية مررتها حول رأسها بلطف كي لا تفسد تسريحتها المتقنة. وكانت طوال الوقت شاعرة بنظراته تراقب حركاتها.

بدأت تدندن ثم توقفت وواجهته بتوسل:«حبيبي، ارجوك ان تساعدني.»

اجاب مبتسما:«ولكنني اساعدك.»

«تعرف ماذا اعني. يجب ان اذهب اليوم الى عملي.»

«يجب ان تذهبي؟» تكلم بجدية ووجوم غير متوقعين.

ارتبكت وأخفت ارتباكها بضحكة قصيرة حائرة. «بالطبع انا مضطرة... وانت تعلم ذلك. لا اقدر ان اجازف بالعودة الى بومون لأكتشف بأنهم منحوا الترقية لمساعدتي.»

«وهل سيكون ذلك... كارثة؟»

«سيكون كارثة بالنسبة إلي.» ضايقها تعليقه، وقد كانت قبل لحظات مفعمة بالدفء والدلال. استدارت الى المرآة وشرعت تضع ماكياجا خفيفا. رمقته بنظرة اتهامية وقالت:«سيكون كارثة كاملة.» ولمحته عبر المرآة يرتدي قميصا فتابعت:«ألن تتضايق لو وجدت نفسك في الواضع ذاته؟»

لم يجب بسرعة. انهمك في اغلاق القميص ثم رد بنبرة متأملة:«لا اظن ان ذلك يضايقني، ولكنني لم اعتبر نفسي قط رجلا طموحا.»

اضحكها جوابه إذ بدا لها سخيفاً وغريباً:«أوه، يا جيمس! ان الرجال لا يتبوأون المناصب التنفيذية في سن الخامسة والثلاثين إلا إذا كان الطموح دافعهم.»

كان مزاجه قد لان قليلا فابتسم لها عبر المرآة وهو يعقد ربطة عنقه:«آه، ولكن الوصول الى منصب كهذا قد يكون سبب الالمعية المحضة، الا توافقينني الرأي؟» ثم مرر الفرشاة في شعره وأردف:«الألمعية لا الطموح.»

«ولا تنس التواضع.»

«بالطبع، التواضع ايضاً.» ثم ساعدها في ارتداء سترتها وقال:«في أي حال، هناك اختلاف تام بين الحالتين.»

قطب حاجبيه بتساؤل، وزينت شفتيها بلون زهري فاتح:«اختلاف تام؟ كيف؟ هل لك ان توضح وجه التباين؟»

«انه شيء يصعب شرحه... من ناحية ثانية إنه اساسي الى حد لا يحتاج معه الى تعريف و... اصغي! لا تتفوهي بشيء!» كانت عيناه تتألقان بمرح ماكر فزال توترها على الرغم منها. «أما

تزالين مصرة على العودة اليوم الى العمل؟» ولما أومأت برأسها قال متنهداً بعمق:«حسنا، من الخير إذن ان نخرج. سوف أوصلك الى المكتب قبل أي شيء آخر، فأنا بشوق للتعرف الى صديقتك لوتي الرائعة، التي سمعت عنها الكثير.»

«اجل، قد يكون لديكما العديد من القواسم المشتركة.»

«كلانا يتفانى في حبك، أهذا ما تقصدين؟»

«لا، لم اعن هذا ولكنك قد تجد بأن لديكما موقفاً تقليدياً واحداً، تجاه عمل الزوجات خارج المنزل. فهي لا تخفي تفضيلها الحياة العائلية.»

«حقاً؟» وأردف بلين وابتسام:«هل ستعتبرينني تقليدياً إذا قلت بأنك تبدين رائعة عندما تغضبين؟»

«سأعتبرك سخيفاً. ثم أني لست غاضبة بل مستغربة.»

«إذن، منزعة.» راقبها بإمعان وهي تضع اللمسات التجميلية الاخيرة على محياها، ولما حملت حقيبتها، وقف خلفها بحيث نظرا معاً الى المرآة وقال:«ذلك لا يغير الحقيقة، وهي انك امرأة بارعة الجمال يا سيدة برنارد.»

«احقاً؟» حدقت فيه ومررت اصابعها على وجنتيه وذقنه. قال بصوت اكثر عمقاً وانخفاضاً:«لا ريب انك

تدركين هذه الحقيقة، ولكن إذا لم تخرجي الآن فإن بوموند لن ترى اليوم مراسلتها المفضلة.»

ظلت ابتسامتها الخفيفة تلازم محياها وهما يشقان طريقهما عبر شوارع لندن المزدحمة في هذه الساعة. فكرت جاين باندهاش وحيرة كيف انهما، منذ شهر فقط، لم يكونا شاعرين بوجود بعضهما البعض والآن صارا زوجين مستقرين بعد مرور شهل العسل. لم تكن لتصدق بأن امرأ كهذا سيحصل معها، فهي لا تؤمن بالاساطير، ولكن لا يسعها الآن ان تنكر صحتها وان تعيش سعادة كبرى تصدق. انها متعبة ايضا. وهذا طبيعي في الحب الزوجي، مع ان لا أحد اخبرها عن هذه الناحية من الزواج. تورد وجهها قليلاً وتنهدت... أجل، إنها تعيش سعادة مثالية.

عادت الى الواقع عندما ارتجت السيارة وقالت بسرعة:«جيمس، اتجه يساراً عند هذا المنعطف كي نصل الى المرآب المخصص لأسرة الدار.»

مع عودتها الى محيطها المألوف بدأ قلبها يخفق بقوة. وعندما فتح لها جيمس باب السيارة، استشعر حالها فوراً وسألها بلطف شديد:«هل تشعرين بالتوتر؟»

«ربما، قليلاً.»

«هل تفضلين ان تدخلي بمفردك؟»

امسكت يده وقالت:«إياك وأن تتركني وحدي! فأنا بحاجة ماسة لدعمك. كذلك اريد ان انتباهي بك إذ يجب ان اقدم لهم سبباً وجيهاً لجنوني. لا اريد المساس بتواضعك. إنما... أريد ان أراقب الفتيات الأخريات وهن يذبن إعجاباً بوسامتك. كان هذا احد اهدافي الاساسية لزواجي منك.» انفتح باب المصعد وخرجا منه معاً، ما كان لأحد بأن يخمن مدى حبهما لبعضهما البعض.

قالت لوتي بإشراق وهي تتحرك بانفعال بين ابريق القهوة والفناجين:«لا تسألا عن الضجة التي أحدثها نبأ زواجكما المفاجىء.» كانت جاين تجلس على حافة مكتبها تؤرجح ساقيها في الهواء فيما استرخى جيمس على مقعد مريح مراقباً إياها بإعجاب لا يخلو من بعض السخرية. ناولته لوتي فنجان قهوة ثم جلست الى مكتبها وأردفت:«لقد ضج المكان بالتكهنات. هل صحيح انكما التقيتما لأول مرة على متن الطائرة؟»

اجابها جيمس وعيناه مركزتان على زوجته:«لقد رمت نفسها علي يا لوتي، واستحوذت بالقوة على اهتمامي.»

«حقاً؟» برقت عيناها خلف نظارتها المذهبة

وأردفت:«ولكن لا يبدو انك كنت بحاجة للكثير من التشجيع.»

«شكراً لدعمك، يا لوتي، هو يتهمني بأني قذفته بكوب عصير.»

قالت المرآة بمرح:«هذه طريقة يائسة للوصول الى الهدف.»

وضع جيمس الفنجان الفارغ على المكتب مشيراً بذلك الى عزمه على الانصراف وقال لها:«هل عرفت لوتي بأن والديها طارا إلينا ليمنعا زواجنا، في حين لم أجد احداً يرعى مصالحي؟ كنت حملا يساق الى الذبح.»

علقت لوتي متنهدة:«لا بد انه كان اكثر الاعراس رومانسية!» ونظرت أمامها كالحالمة، فلم تلاحظ نظرات التسلية التي تبادلها العروسان. وأردفت تخاطب جاين:«قالت أمك انك التقط صورا رائعة، فهل تحملين بعضاً منها؟»

«اجل، جئت بها صدفة.» اخرجت جاين من حقيبتها محفظة كبيرة ووضعتها امام لوتي وتابعت:«لقد صورنا الاحتفال على شريط فيديو، سنعرضه عليكم في أقرب فرصة.»

تفحصت لوتي الصور وعلقت بشيء من الأسى:«ما أجمل فستان زفافك.»

شعرت جاين بالذنب من أسى صديقتها التي فاتها حضور العرس مع انه كان من المستحيل عليها ان تحضره، وسارعت الى القول:«توجد في جزر الكاريبي محلات أزياء رائعة وعصرية، فهي ليست مجرد شواطىء وأشجار نخيل... كان لون الفستان عاجياً وقد زين خصره وحاشيته بالدنتيل. وزينت شعري بزهر الغاردينيا...» كانت يدها اليسرى ممدودة لتبرز خاتمها الماسي المرصّع بالزمرد وأردفت:«لقد إشتراه لي جيمس في نيويورك عندما توقفنا هناك على طريق العودة.»

تأملته لوتي دونما حسد:« إنه رائع. يناسبك تماما.»

نهض جيمس قائلاً:«سأنصرف الآن وأترككما تتبادلان كلمات الاعجاب. سأمكث في مكتبي لبعض الوقت ثم أذهب الى شقتك يا جاين وأجلب قسما من أغراضك. ثم اردف موضحا للوتي:«هكذا امضينا الوقت منذ رجوعنا إلى الديار، نحمل العلب والصناديق ذهابا وإيابا.»

«آه، إذن ستقيمان في...»

أكملت جاين عنها:«في شقة جيمس، فهي أكبر بكثير من شقتي، رغم انها ابعد مسافة عن محطة المترو ولكن...»

قال جيمس:«استأذنكما بالانصراف. الى اللقاء، يا لوتي، ننتظر زيارتك في أمسية قريبة لنريك شريط الفيديو.» ثم طبع قبلة على وجنة جاين:«إذن سنلتقي مساءً.»

«أجل، سأتدبر أمر عودتي.» ولكنها ترددت في وداعه فأضافت: «سأسير معك حتى المصعد.»

قبل ان يصلا الى الباب انفتح فجأة، ووقف رجل مترددا على العتبة لدى وقوع بصره على جيمس. قالت جاين بترحيب مصطنع:«أوه، آرثر.» وقد ارتبكت واحمر وجهها وتمنت لو كان بإمكانها تأجيل اللقاء ريثما تتكلم مع زوجها على حدى. وتابعت متوردة الوجه:«يسرني انك أتيت يا آرثر. جيمس، أود ان اعرفك الى صديق مخلص، آرثر ديفيز، المسؤول المالي في المؤسسة و... آرثر، لقد سمعت ولا ريب بأننا تزوجنا خلال الإجازة.»

قال:«بالطبع. لقد اثرتما ضجة كبيرة، إذ لم يكن زواجكما متوقعا ابدا، ولكنني، اتمنى لكما، بالطبع، كل سعادة ورخاء.»

تصافح الرجلان وقارنت جاين بينهما، واحد طويل القامة، مستقيم الظهر أسود الشعر، والآخر اصلع الرأس مقوس الظهر، مع ان الفارق بين عمريهما لا يتجاوز بضع سنوات و ...

قال جيمس:«يجب ان أمضي، لا ترهقوا انفسكم بالعمل.»

قالت جاين التي رغبت في ان تصرف معه بضع لحظات إضافية:«سأمشي معك حتى المصعد.» ثم ابتسمت لآرثر بشيء من الاغواء الذي تحتفظ به عادة لزوجها، وقالت:«آرثر، سوف تنتظرني، أليس كذلك؟ هناك اشياء أود.... سأعود بسرعة.»

سرها أنها استطاعت الاحتفاظ بزوجها وقتاً أطول، وسرها اكثر، ان صحن الدرج كان خالياً من الموظفين. لمست اصابعه وتمتمت بإسمه بصوت خافت ورفعت وجهها استعداداً لقبلة الوداع.

لكنه رفع حاجبيه بتساؤل ، ورأت في عينيه وميضاً ساخرا وقال مقلداً نبرتها:«آرثر، سوف تنتظرني، أليس كذلك؟ هناك أشياء أودأن اقولها لك. سأعود بسرعة، يا آرثر.» ثم كبس زر المصعد بنفاد صبر.

أذهلها تصرفه ولكنها أطلقت ضحكة قصيرة وقالت:«جيمس؟» ثم عبست ولمست خده.

هز كتفيه وقال:«لا عليك مني.»

«أما تزال تشعر بالغيرة؟»

«أجل... أعترف بذلك.» توقف المصعد ولما انفتح بابه جذبها معه الى الداخل وأردف:«أغار من

مطلق شخص عرفك قبلي بيوم واحد.» وانغلق الباب عليهما.

لم تدري هل تضحك أم تعترض. ولكن عملها ينتظرها وآرثر ايضاً. رمقته وقالت:«جيمس يجب ان اعود الى المكتب. سوف يتساءلون...»

«فليتساءلوا.» وغمرها بذراعيه.

تمتمت:«قف! قد يرانا احد.»

«لا يهمني.»

«ولكنني أهتم، ينبغي أن... أوه جيمس!» كان مصمماً على اسكاتها.. ثم ارخى ذراعيه وقال:«سأدعك تخرجين، إنما بشرط.»

«جيمس يجب ان اذهب.» أخرجت منديلها ومسحت أحمر الشفاه عن فمه ثم حاولت إصلاح هندامها:«ماذا تقصد؟»

«اتذكرين ما حصل قبيل مجيئنا؟ عندما اقترحت عليك ان تبقي في البيت يوماً آخر؟ وكنت تتصرفين بمنتهى الرقة؟»

«هل تصرفت كذلك؟» احمرت لشعورها بالذنب وحاولت ان تتجنب نظراته، بل انها رمقت باب المصعد المغلق خشية ان يكون مفتوحاً وبالتالي يشاهد جميع العاملين في المؤسسة هذا الدور العاطفي المسلي الذي يؤديانه.

قال:«تعرفين تماماً ما أقصد.»

«ارجوك ان تخرجني! ارجوك!» مدت يدها إلى زر المصعد ولكنه امسكها.

قال:«سأخرجك حالما تعطيني وعداً.»

«لكنك لم تخبرني ماذا...»

«أريد ان نكرر ذلك الاداء إنما بشكل مغاير.» فهمت قصده فاتسعت عيناها الخضراوان، فأردف ضاحكاً:«ارى أنك أدركت مطلبي، ولا حاجة لأن تبدي مصدومة الى هذا الحد.»

«سأخرج.» فلم يعترضها، وقال بعدما ضغط على الزر وانفتح الباب:«هل تعدينني؟»

«أجل، اعدك.» كانت تلهث وتحس ارتباكاً وخجلاً بسيطاً كونها لم تألف بعد، بعض نواحي الزواج المتطلبة. وعندما سارت آمنة في الممر التفتت باتجاهه.

رفع أصبعه وقال قبل ان يغلق الباب:«تذكري وعدك سأطالبك الليلة بوفائه.»

عادت الى المكتب محتقنة الوجه ومتجنبة النظر إلى آرثر. ثم شعرت بامتنان للوتي حينما جهزت القهوة والفناجين.

حرك آرثر السكر في قهوته ثم رشف منها وأعاد الفنجان إلى زاوية الطاولة، قائلاً:«من المؤكد ان

www.liilas.com Legend of affection

الحياة الزوجية تلائمك، يا جاين. فأنت تبدين مزهرة.»

كانت مدركة تماماً سبب إشراقها فأحست بالخجل وأشاحت بوجهها عنه وتشاغلت بالبحث عن بعض الاوراق في خزانة الملفات ثم أجابت:«هذا من جراء الشمس والبحر و...»

انقذتها لوتي ثانية حينما ناولت الصور لآرثر. قالت:«إليك هذه اللقطات الرائعة، يا سيد ديفيز. من المؤكد انك تود رؤيتها.» وعادت تنحني على الآلة الكاتبة.

نظر آرثر بسرعة الى الصور وقال:«انها حقاً جذابة.» ثم نهض وقال:«اردت ان اعلمك، يا جاين، بأن رؤساء القسم سيعقدون اجتماعا يوم الثلاثاء، وبما انك المسؤولة في غياب السيدة ديفيز فالإدارة تتوقع حضورك. فضلت ان أخبرك، مع انك ستتسلمين إشعارا بذلك. اظن ان الاجتماع سيعقد في الثانية والنصف.»

ابتسم لها ثانية وأردف:«يسرني ان أراك ثانية يا جاين... لقد افتقدتك.» ثم خرج وأغلق الباب خلفه.

رانت لحظة صمت قبل ان تعلق لوسي:«مسكين سيد ديفيز.»

سألتها جين متلهفة، تتمنى ان تنكر لوتي ظنونها:«لماذا تقولين هذا، يا لوتي؟ فالمسكنة ليست من صفات آرثر.»

«كلا... كان ذلك سخافة مني. ولكنك تعلمين جيداً بأنه كان يميل إليك منذ ان بدأت العمل هنا كمتدربة، في الثامنة عشرة من العمر.»

تنهدت جين بإعياء وقالت:«أجل، احسبني اعلم ذلك. ولكن لم يكن هناك أي شيء جدي في علاقتنا، مجرد الذهاب لحضور مسرحية مرة او مرتين في السنة.»

«اعرف هذا، ولكني أرجح بأن ذينك الموعدين كانا منارة حياته.»

علقت جاين وقد شعرت باضطراب تعذر عليها تحديده:«أمل ان لا يكون الأمر كذلك يا لوتي، فهذا يعني أنه يعيش حياة جدا موحشة.»

«هو يعيش حياة كهذه بالفعل، يا عزيزتي. ألم تحدثيني مرة عن أمه العجوز الرهيبة؟»

«هل قلت إنها رهيبة؟ لا بد أنني فعلت. لا ريب انها تسيطر على آرثر سيطرة تامة وقد ارتابت بي كثيراً. أتساءل ان كانت تعتقد فعلا بأني اسعى الى الزواج منه؟»

«لا أظن انه من النوع الذي يحبذ الزواج.»

«حتى لو كان من هذا النوع، فمن غير المحتمل أن يتزوجني، و...»

«ما دمنا نتكلم عن الأمهات، أخبريني عن رد فعل والديك عندما هاتفتهما وأعلمتها بأنك ستتزوجين؟»

«أصيبا بذعر كامل، وكان أمراً متوقعاً، ان جيمس لم يبالغ حين قال بأنهما طارا إلينا كي يمنعا زواجنا. ولكن ما أن...» توقفت لحظة وهي تخرج ملفا من الخزانة ورمقت النافذة بنظرات حالمة.

كتمت لوتي ضحكة وتابعت عنها:«ولكن ما ان تعرفا الى جيمس حتى اختفت اعتراضاتهما.»

«ليس تماما. حاولا جهدهما ان يقنعانا بتأجيل الزواج. ولكن عندما رأيا ميف تسير الأمور، تحققا أخيرا من عدم جدوى المعارضة واستسلما بطيب خاطر.»

«لقد اعجبا بشخصية جيمس برنارد. أهذا ما تقصدين؟ أنا اعجبت به أيضا.»

«أجل هذا ما أعنيه بالضبط. أتعلمين، يا لوتي، لا استطيع ان أتذكر شكل الحياة ولونها قبل ان ألتقي به. هل يعقل هذا، في رأيك؟»

«أجل، أعتقد ان الغالبية يشعرن هذا الشعور في البداية.» تنهدت ووضعت ورقة بيضاء أخرى في

آلة الطباعة ثم أردفت:«المشكلة تكمن في الحفاظ على الحب.»

لكن جاين لم تسمعها إذ كانت تركز على حسابات تتعلق بأسعار السلع ومواصفاتها، وكانت تتساءل ومؤلم كيف ستعيش من دون وجود جيمس نهار كامل بعد ذلك. ارتعشت من جراء تخيلاتها.

www.kitab.com
Deprived of affection

الفصل الثالث

كان غروب يوم السبت مزعجاً من شدة الازدحام، ولكن حتى الرحلة الموحشة الى البيت لم تقدر ان تخمد شوق جاين. لمحت صورتها منعكسة على زجاج نافذة داكنة، ابتسمت لنفسها وهي تجلس محشورة في إحدى زوايا القطار المزدحم. ثم رفعت بصرها بحرج، فتأكد لها بأن الرجل الواقف بقربها كان يرد على ابتسامتها بتجاوب وقح. لذا شعرت بالارتياح عندما تمهل القطار المقترب من المحطة التي ستنزل فيها. نهضت واقفة بكل ما لديها من سيطرة ذاتية وهي تتأبط حقيبتها.

قال الرجل بصوت خفيض أراده ان يوحي بحميمية معينة:«لا اذكر بالضبط اين التقينا من قبل.»

«أنا اكيدة بأننا لم نلتق قط.» ثم تمسكت بالعمود بيدها اليسرى كي يرى خاتم زواجها بوضوح.

«خسارة!» ابتسم وهز كتفيه بأسف ولكنه لم يحاول ان يعيقها او يلحق بها لدى خروجها من القطار.

كان على الأرجح متمرسا في عبارات التقرب ومعتاداً على أجوبة الزجر او التشجيع ويتقبل الوضعين على نحو فلسفي.

مشت بسرعة على الطريق المخيم عليه الهدوء وهي تشد معطفها على جسمها اتقاء للهواء القارس. من المزعج ان شقة جيمس في مبنى يبعد كثيرا عن المحطة بخلاف شقتها القديمة. إلا انها اوسع بكثير واكثر فخامة و... عبرت البوابة الزجاجية الأنيقة ولوحت تحيي الحاجب الذي خرج لتوه من حجرته، وهي تضغط على زر المصعد.

فور دخولها الشقة تناهى إليها صوت جيمس يجلس على الأريكة وظهره إليها اجتاحها حنان عظيم، فوقفت لحظة لتشعر ببهجة المشهد الخالص. انه بيتهما، منزلهما، وكان كذلك منذ أول يوم استقرا فيه، ليس لأنه أنيق الأثاث او ناعم الاضواء بلا لأنه يمثل جيمس، الرجل الذي تزوجته، فهو ملازم للمنزل، وحيث يكون هو، تكون الديار.

اقتربت منه ووضعت خدها على خده كي تغلفه بموجة من العطر الناعم الذي تعطرت به من أجله قبل ان تغادر مكتبها. قالت بانفعال وهي تحاول التكهن برد فعله إزاء الخبر السار خاصتها:«مرحبا! هل امضيت نهارا حسنا؟ هل افتقدتني؟»

طوق عنقها وقال بدفء:«افتقدك دائما، ولا سيما في غيابك. تعالي واجلسي الى جانبي لأشرح لك مدى شوقي إليك.»

«لحظة واحدة.» نزعت سترتها وحذاءها ودارت حول الأريكة ثم استلقت عليها مسندة رأسها إليه وقالت وهي تداعب خده:«كم هو ممتع وجود المرء في بيته.» وأغمضت عينيها متأوهة من فرط البهجة.

ابتسم لها ثم زم شفتيه وقال عابسا:«هل خطر لك انه لولا مؤسسة بومونت لاستطعنا تمضية نهايات أسابيع كاملة.

فتحت عينيها حالما سمعت اسم شركتها، فطوال بعد الظهر كانت تجيش بالخبر السعيد، والآن صارت تغلي، لم تلاحظ بتاتا انتقاده المبطن وبدأت تقول:«على ذكر المؤسسة، لقد تلقيت لتوي أروع خبر...»

قال متظاهراً بالتفكير:«دعيني أخمن، آه، لقد استطعتم التخلص من معاطف الفراء التي ما برحت تملأ خزائنكم من العام 1928!»

راقبها جيمس باهتمام ثم ابتسم ومرر اصابعه على كتفيها الناعمتين، وغمغم:«هذا ظلم!» ولما أحس برد فعلها أردف:«هذا ما اشعره بالضبط.»

ثم همس وكأن هناك من يتنصت عليهما:«انك تتقصدين إثارتي لقد طرحت عليّ سؤالا ثم تعمدت تشتيت ذهني، أليس كذلك؟ ولكن دعيني أخمن الخبر السعيد.... آه لقد وجد المفتشون تناقضا

كبيراً في جداول الحسابات وهم الآن يستجوبون مسؤولكم المالي.»

«آه منك...» ثم طبعت قبلة صغيرة على ذقنه وتابعت:«انت تظلمه يا جيمس برنارد. فأي ذنب اقترفه آرثر المسكين بحقك؟» كانا يتمازحان ولكنها لمست في صوته شيئا من الحدة والتحفظ عندما أجاب:«هذا بالضبط ما أود ان اعرفه يا حلوتي.»

«على أي حال، انت لم تخمن الحقيقة، ثم اعلم بأن آرثر رجل ثري جدا، او على الاقل سيصبح كذلك عندما يرث أمه التي تمتلك أراضي وعقارات كثيرة في لندن.»

«لن أخوض في موضوع آرثر فهو في هذه اللحظة أبعد الناس عن ذهني.»

«انت الذي فتحت سيرته، ألم تفعل؟ في أي حال سأستحم ولذا لن تضطر لتضيع الوقت في التخمين.»

«أتراك تتحديني؟»

«بالطبع لا.» وابتسمت متألقة العينين لاهثة الأنفاس.

«ولكن هذا يذكرني بحادثة... ليست ببعيدة. آه، أرى انك لا تزالين خجولة.»

ابتعدت برشاقة وقذفته بقميصها وعبرت الغرفة

وهي تلقي بأشيائها هنا وهناك:«سأعاقبك وأجعلك تنتظر. بوسعك ان تموت من الفضول قبل أن... في أي حال...» ولم تكمل، ارتدت قبعتها الواقية من الماء واستحمت بالماء الدافىء. وعندما انتهت كان ما يزال يجلس على الكرسي يراقبها. تناولت منشفة دافئة ولفت بها جسمها جيدا ثم سحبت الدبابيس من شعرها وقالت:«فيما كنت عائدة الى البيت وعدت نفسي بأن نخرج للعشاء. وعدت نفسي باحتفال. سأطلعك على اخباري اثناء تناول الشراب.»

«احتفال!»

ألقى عليها نظرة تخمين حادة ولكنها لم تلاحظها، ومضت تقول:«أعرف انك ستفرح لأجلي.»

«حقا؟» علق بصوت فاتر وأشاح عنها.

كانت تجلس الى طاولة الزينة تسرح شعرها فسألته:«جيمس، هل هناك ما يضايقك؟»

«لا شيء. لا شيء سوى... خروجنا لتناول العشاء. لا أجد له مبررا وجيها، فنحن نخرج أكثر من اللازم.»

شرعت تدهن وجهها وعنقها بالكريم وقالت شارحة:«لم أقصد المطعم القريب الذي نرتاده، كي أوفر على نفسي مشقة الطهي، بل ذلك النادي

الليلي الصغير الذي رأيناه لدى عودتنا من زيارة والدي ووعدنا بتناول العشاء فيه في وقت ما، هل تذكر أسمه؟»

«الارنب الابيض أو ربما البني. أذكر انه لا يبعد كثيرا عن باربيكا.»

«فكرت أن نذهب إليه.» وهنا خيل إليها انه بدأ يعبس فأردفت بسرعة:«انا سأدفع الحساب.»

«أوه، حسنا ما دمت ستدفعين.» ثم خرج من الغرفة، شعرت بخيبة وذهول، فالسخرية شيء لم تعهده فيه، وهو سخر منها حتما. لقد أرادت لهذا المساء ان يكون مميزا، ولكنها اخطأت التصرف، إذ كان يجب ان تنبئه بترقيتها فور وصولها، ويتفقان بالتالي على كيفية الاحتفال. كان من الجائز ان يقترح اسلوبا آخر، فتناول العشاء في مطعم أمر عادي كما قال وكم كانت هي ساذجة حين عرضت ان تدفع الحساب! ان شيئا كهذا يقال لصديق لا لزوج بالذات. فجيمس يصر دائما على استعمال بطاقة اعتماده ويتولى أمر هذه المصاريف.

في أي حال، سواء خرجا أم بقيا في البيت فالأمر سيان لديها، بل ان البقاء يعني جهدا أقل بالنسبة إليها اذ بوسعها ان تطلب شريحة لحم بالهاتف، ولديها شراب جيد، بقي من الحفلة التي اقاماها

بعد عودتهما من جامايكا وذلك سيكون احتفالاً كافياً بالنسبة.

راحت تتدن وهي ترتدي ثيابها. اختارت تنورة خضراء طويلة، اشتراها لها جيمس في شهر العسل، وبلوزة قطنية بيضاء ذات كمين منتفخين، ثم وضعت ماكياجاً خفيفاً، وتركت شعرها منسدلاً، انما أبعدته عن وجهها بطوق عريض. وضعت قليلاً من العطر الناعم، ثم مشت بهدوء الى غرفة الجلوس.

كان يسند مرفقه الى رف الموقد ويحك ذقنه مفكراً كانت المرآة المعلقة خلفه تعكس مؤخرة رأسه. ورأت جاين صورتها تنعكس ايضاً.

«انت على حق يا جيمس.» اقتربت منه وطوقت عنقه بذراعيها ورأت عينيه تبرقان بدفء. شعرت بالانتصار وأردفت:«البقاء في البيت أمتع بكثير.» ضاعف ضغط ذراعه حول خصرها وقال:«اتعلمين ان طريقة مشيك رائعة؟ انها أول شيء لاحظته فيك.»

ارخت اهدابها وغمغمت:«حسبت ان كوب العصير كان أول شيء حينذاك مني.»

«كلا، فلقد رأيتك قبل ذلك في تلك التنورة القصيرة، وعقدت العزم لحظئذ.» وأخذ يهمس في أذنها بلطف.

«علام؟» كانت مسترخية.

«فكرت آنذاك... أظن انه من الخير ألا اخبرك بما فكرت.»

«جيمس!»

«فكرت انك اكثر النساء سحراً وجمالاً و... بأني لم أر لك مثيلاً من قبل.» ابعدها عنه قليلاً ثم ضحك من نظرتها المستغربة. «ولكن هل تعلمين بأني اتضور جوعاً؟»

«لقد تزوجتني إذن، لأطبخ لك!» رمقته بتأنيب مصطنع وسارت الى المطبخ.

لحق بها ووقف يراقبها. ارتدت مئزراً وشرعت تفتح الخزائن فقال يجيبها:«ومن أجل اشياء اخرى، فالطهي لم يكن السبب الأهم آنذاك.»

أخرجت طبقاً من الكريما المخفوقة من البراد وقالت:«قد يكون ذلك مناسباً لا غير. لا اجيد الطهي ولكني بارعة في صنع السلطات على أنواعها.»

لوحت له بكيس بلاستيكي يحوي خضاراً.

علق جيمس:«والدتك طباخة جيدة ومعظم النساء يصبحن مثل أمهاتهن في النهاية.»

«إذن ستنتظر طويلاً، وآمل ألا تموت جوعاً في هذه الفترة.»

تناول فجلة وسمعته يقضمها بأسنانه وهي تغسل الخس وقال:«أتراني ظلمتك بتحضير العشاء هنا في حين كنت تفضلين ان نتناوله خارج البيت؟»

«لم أقل بأني سأفضل ذلك.» أفرغت محتويات المصفاة في مجفف الخضار الكهربائية وأردفت وهي تنشف يديها بسرعة:«شغل هذه الآلة ريثما أصنع مرق التوابل، كلا أفضل في الواقع ان نبقى هنا، كل ما في الأمر اني فكرت بأنك تستحق وجبة مغذية في ذلك المطعم، لكن بوسعنا ان نحتفل هنا.»

«آه، الاحتفال يبدو وكأن نهارك كان مثيراً، مثلما كان نهاري، فأنا ايضا لدي خبر خاص يستحق شرابا فاخرا، سأحضره في الحال.»

«هيا هات ما عندك، ان الفضول يقتلني!» كانا استمتعا بالوجبة برغم بساطتها، ولما انحنى صوبها وابتسم لها من خلال الشموع المشتعلة، ادركت ان اللحظة قد حانت بعدما احتضنت النبأ السعيد في قلبها ساعات طويلة، كي يكون جيمس أول العالمين به.

«أجل، فلقد أخبرتني بنفسك بأنها أذت عمودها الفقري بسبب وقوعها على الجليد.»

«حسنا، لقد قررت اخيرا ان تتوقف نهائياً

عن العمل. وهكذا...» اتسعت عيناها والتمعتا بالانفعال. «استدعتني الإدارة ظهر اليوم لأقابل رئيس الشركة الذي عرض عليّ منصبها رسمياً.»

ضاقت عيناه قليلا وبدا أقل تأثرا مما توقعت:«وهكذا، على ما اظن لقد أعطوك فرصة لتفكري في العرض؟»

«أفكر؟» صارت في قمة الانفعال وقفزت واقفة. وأوشكت ان تطيح بكوبها لو لم تتداركه في اللحظة المناسبة، ثم جلست بقربه وطوقت عنقه بذراعيها:«ليس في الأمر ما يستدعي التفكير، ألم اخبرك بأني كنت انتظر هذا المنصب طوال السنوات الخمس الماضية؟ أوه، هذا لا يعني اني لست حزينة من أجل السيدة...»

«من الطبيعي ان تحزني.» قال ذلك بسخرية مبطنة ولكن جاين غفلت عنها لفرط سعادتها.

مضت بالقول:«وافقت فورا على عرضهم. فأنا مديرة بهذا العمل، وقد أكون افضل من السيدة ديفيز التي صارت روتينية في الآونة الاخيرة، أوه، يا جيمس، ستنفتح امامي فرصة عظيمة! إذا سأغطي كل معارض الأزياء في باريس وروما و...»

تعثرت في المتابعة إذ ادركت بأنها قد تكون وصلت

الى أسباب تحفظه، فأسفارها هنا وهناك ستعني حتما جدولا للمواعيد وساعات عمل اطول بكثير، وهو يعتقد الآن بأنها تعمل وقتا اطول من اللازم. كان وجهه جامدا يخفي احاسيسه الداخلية ولكنها تابعت:«اعرف انك ستتضايق في غيابي، ولكن بالطبع سوف أحصل على مال اكثر.»

ادركت بعد فوات الأوان انه ما كان يجب ان تقول ذلك. وقالت:«ولكنني سأحصل على راتب اعلى بكثير من راتبي الحالي وسيكون الفارق كبيرا بين الوظيفتين.» تلاشى صوتها وتلاشى معه جزء من ثقتها الذاتية. لقد انتهى الأمر على غير ما تخيلت، وفكرت في ما لو انه حصل على ترقية غير متوقعة لكانت ابتهجت من أجله، ولكنها صممت على التجاهل ومضت تشرح وتبرر:«هل تدري ماذا قال عني السيد جوسلين، رئيس الشركة؟ يجب ان نهتم بالسيدة برنارد لأنها لنا، كيلا يسرقها اخصامنا منا.»

السيدة برنارد لنا! وهنا خانها صوتها من جديد ثم هتفت بتوسل:«ارجوك، يا جيمس، قل انك سعيد من أجلي.»

صمت لحظة قبل ان يجيب، ومع ان ابتسامته كانت لا تزال مقتضبة، بيد ان جاين لم تستوعب

إلا لاحقاً:«بالطبع أنا سعيد من اجلك. انا مبتهج، وفخور بك جدا، وأوافق السيد جوسلين رأيه. فنصف مجلات لندن ستحاول ان تسرقك منه تحت سمعه وبصره، ولكن...»

ابتسمت له إنما بدا القلق في عينيها حين تمعنت في وجهه:«جيمس! أنا لا يمكن ان اترك بومونت! بالطبع، لم اصرح لهم بذلك، ولكن مجلس الإدارة يعرف بأني كنت أهدف الى هذا المركز منذ سنوات، لقد اخبرتك ذلك مرارا، و...»

«اجل، اجل، يا حبيبتي اخبرتني ذلك مراراً.» وبدت عيناه الداكنتان منزعجتين الى درجة، استحال عليها ان تسحق خوفها المتصاعد..

«جيمس؟» سألت بحذر إذ تذكرت انه هو الآخر لديه خبر جديد. هممت بأن تسأله عنه ولكنه تنهد بعمق وقال مكررا بصوت خاو:«اجل يا جاين، منذ لقائنا الأول، بينت لي عزمك على نيل تلك الوظيفة، وهذا ما يجعلني أتردد كثيراً في عرقلة أمورك. تعلمين ولا ريب اني لن اتوانى عن فعل أي شيء كي اتجنب ذلك، ولكن...»

شعرت باحباط شديد، اوشك ان يحملها على الصراخ ولكنها تماسكت وقالت:«جيمس! وكأن اي شيء قمت به، سيفسد عليك الأمر.» إلا انها

شعرت بخوف معين. وبرغبة مجنونة في سد اذنيها، لتهرب مما يهددها، لتهرب الى أمان غرفة النوم المعتمة.

تساءلت:هل المال هو السبب؟ فجيمس حساس تجاه هذا الموضوع على نحو تقليدي مع أنه متفوق على أبناء جيله في معظم النواحي الحياتية الأخرى. لقد اخطأت التصرف وتسرعت في ذكر الزيادة الكبيرة التي ستطرأ على راتبها. ولكن من ناحية اخرى، جميع الناس يعترفون هذه الأيام بأن النساء، مثل الرجال، مؤهلات للوظائف الهامة والعالية الرواتب. ثم ليس هناك ما يدعوه الى الشعور بعدم الأمان. فكلاهما حصل على ما يريد، سواء في محيط العمل أم في المنزل و..

ايقظها صوته من افكارها:«انا في منتهى الأسف، يا حبيبتي.» نهض واقفاً ولمس يدها في بادرة استرضائية وقال بضيق واضح:«اجريت اليوم مخابرات هاتفية عديدة مع شركتنا الأم في هيوستن. وعلمت ان تغييرات مهمة تحصل الآن في الشركة. جاين، الموضوع باختصار هو اننا سنغادر لندن قريباً جداً، فلقد عينت للعمل في البرازيل وسنسافر إليها لنعيش فيها.»

اعقب تصريحه صمت طويل، وشعرت كما لو ان

ضربة هائلة سددت الى قلبها، وعجزت عن النطق. تفحصت عينيه بيأس بحثاً عن إشارة تؤكد بأنها اخطأت فهم كلامه. ولكن، لعله كان يمزح. لا بد انه كان يغيظها زاعماً بأنه هو ايضا تلقى عرضاً جديداً اسوة بها. اقنعت نفسها بهذا التحليل فارتفعت معنوياتها، ومن ثم تحطمت عندما استوعبت حقيقة القلق والاهتمام في تعابير وجهه.

لكن كيف يعقل هذا؟ كيف يمكن لأمور كهذه ان تحدث؟ فقبل دقائق معدودة كانت امرأة سعيدة وناجحة. فهي تزوجت رجلاً وسيماً تحبه بافتتان، والآن تأكدت من بلوغ القمة في المهنة التي اختارتها لنفسها. لم تستوعب لماذا حكم على كل ذلك بالاحتراق والترمد...

اخيراً، بذلت جهداً جباراً وأرغمت شفتيها على التحرك:«ما... ماذا قلت، يا جيمس؟ تخيلت للحظة...»

أجاب بنبرة متوسلة اغاظتها:«حبيبتي، ستحبين ذلك البلد عندما ترينه...»

إذن، كان الخبر حقيقة لا مزاحاً. شعرت بالدم يتدفق في وجهها ولم تقو ساقاها على حملها فجلست بإعياء على اقرب مقعد.

تذكرت انه ذكر البرازيل. ولكن لا بد انها اخطأت

فهم الأسم، ثم ترددت الكلمة في ذهنها فأدركت بيقين رهيب بأنه لا يوجد ثمة خطأ. كذلك عرفت بأنها لن تسافر الى البرازيل، جاين برنارد، سوف تبقى في لندن. وهذا يعني... ان جيمس سيمضي... لا، لن تسمح له بذلك فهي غير مستعدة لفراقه.

الفصل الرابع

برعت جاين في وقت قصير نسبياً، في فنون التملق الكفيلة بتحقيق رغباتها. ولأن جيمس كان يدللها بإفراط، فلن تحتاج الى كثير من التملق كي تنال مبتغاها. كان يكفي ان تتقدم منه وتقف خلفه مثلما تفعل الآن. تطوقه بذراعيها وتلصق خدها بكتفه فيتجاوب مع ما تريده منه حتماً.

«جيمس، سوف نناقش الموضوع، اليس كذلك؟»

لكنها شعرت الآن بتشنجه وكانت تأمل في رد فعل آخر. فبدل ان يستدير إليها ويعانقها، تراجع مبتعداً عنها والتقط الاوراق التي كان يعمل بها قبيل وصولها.

«بالطبع.» ورمقها بنظرة سريعة إنما لم يبد عليه انه لاحظ بلوزتها الخضراء الحريرية التي تعجبه بشكل خاص كونها بلون عينيها نفسه. ثم سألها وهو يكب مجدداً على اوراقه. «أي موضوع تودين مناقشته؟»

شعرت بالخيبة كما لو ان باباً صفق في وجهها بتعمد، ولسعت الدموع المترقرقة عينيها. ولكنها سرعان ما توقفت من جراء موجة الغضب التي

www.liilas.com Deprived of affection

اجتاحت كيانها... كيف تجرأ على وضعها في هذا المأزق؟ كيف يمكنه ان يكون قاسيا الى هذه الدرجة، ويسبب لها كل هذا القلق؟ لا سيما الآن. في ظرفها الحاضر الذي يعيه جيداً، ويعلم بأنها منهمكة في إعادة تنظيم قسم التحرير، ويعلم الأهمية الكبرى التي تعلقها على بلوغ القمة في عملها.

لم تكن لتصدق بأنه لن يقدر ظروفها. وأجابته، بصوت حاد، كالذي تخاطب به صبيا مهملا: «اعتقد انه واضح تمام الوضوح.» تبين له نفاد صبرها. سارت الى المطبخ وكعب حذائها ينقر بغضب على الأرض، وتشاغلت بغسل يديها على المجلى. تمهل جيمس في اللحاق بها مضاعفا بذلك غيظها، ولكنها احست بوجوده عندما وقفت على العتبة، يراقبها بعينين ضيقتين. سرها ان تتجاهله لثوان ثم استدارت إليه وقالت بتحد وهي تنشف يديها: «أليس الموضوع واضحا؟»

سألها بلطف: «اتقصدين قضية ذهابنا الى البرازيل؟» بدا لها أنه تعمد اللطافة ليزيد من غيظها ولكنها كانت تعلمت ان تعد الى العشرة. وهذا ما فعلته ببطء بينها وبين نفسها وهي تحملق فيه وتعيد المنشفة الى المشجب. كيف لم تعرف من

قبل ان بوسع الرجال ان يكونوا صعبي المراس واستفزازيين الى هذه الدرجة؟

اجابته وهي تومىء برأسها: «اجل، موضوع العمل الذي عرض عليك. انا اعتقد بأنها قضية جديرة بالمناقشة. اليس كذلك؟»

كان يحمل الأوراق وينظر اليها بعبوس وكأنها اهم بكثير من حديثها. وقال: «اجل، ولكني قررت ان نترك الموضوع وشأنه بضعة ايام، فأنت عارضت الفكرة كثيراً في البداية.»

«وما زلت اعارضها.»

«لكنني اعرف انك عندما تعيدين النظر ستكتشفين كل ايجابيات هذا البلد الساحر، يا جاين، وسوف تحبينها، وبوسعنا ان نعيش هناك حياة رائعة.»

تكلمت بحرارة وانفعال: «انا احب بلدي، وأجده ساحرا.» وعادت تشعر بلسع الدموع وهي قلما تبكي. ومضت تقول: «كذلك أحب عملي، وحياتنا في هذه الشقة التي هي تجسيد لكل ما حلمت به.»

«كنت ايضا تحبين السفر، فلطالما اعربت لي عن غيرتك من رحلاتي المتعددة وتمنيت لو ان نصف ذلك يتاح لك.»

اجابته: «انا احب السفر في إجازات.» وفكرت بيأس بتلك الليالي عندما كانت تتكور بقربه على

الاريكة وتحثه على سرد قصص البلدان النائية الجميلة. والآن، خلصت الى القول:«احب دائما ان اعود الى دياري، ولم أقل مرة واحدة بأني ارغب بالبقاء في الخارج.»

«اسمعي يا حبيبتي.» كان واضحاً انه يبذل جهداً ليتكلم بشكل عقلاني، وهذا كان بحد ذاته امرا مزعجا ولكنها طفلة عنيدة، يجب ان يغازلها كي يصفو مزاجها. ثم تقدم منها ولمس وجنتها بظاهر يده. كان لطيف التعبير ويبدو فائق الوسامة كعادته، فلا فرق ان هو ارتدى ثياباً رسمية او عادية. اجل، إنه جذاب على نحو مهيب، ولكن جين امتعضت للحظة من هذه الحقيقة. ومضى يقول:«دعينا نعالج الموضوع بمنطق، فالأمر مهم بالنسبة لكلينا. لقد أمرت بأن اعمل في البرازيل مدة سنتين وأريدك... اتوقع منك ان تذهبي معي. هذا كل ما في الأمر.»

«كلا.»

انتابها غضب واحباط، ورغبت في ضربه كي تخرجه من شرنقة استرخائه الذاتي، وأخذت ترتجف، فلفت ذراعيها حول جسمها لتخفي الارتجاف الذي قد يأخذه على محمل الضعف، ثم اشاحت بوجهها عنه كي لا يتأثر قرارها بأي توسل

ستراه في عينيه، وقالت بنبرة معتدلة:«كلا، ليس هذا كل ما في الأمر، لسوء الحظ، فهناك امور كثيرة يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار.»

«هل تفضلين ألا اكترث بذهابك معي او ببقائك هنا؟ اخبريني، كيف سيكون موقفك إذا لم اكترث بالفعل، هل ستكونين اسعد حالا؟»

«افضل... ان تدرك بأنك لست وحدك صاحب مهنة وفي الواقع...» وهنا صارعت افكاراً، ما برحت تؤرقها منذ ان اخبرها قراره، افكاراً املى عليها التعقل بأن تحتفظ بها في نفسها، ولكنها لن تستطيع، الآن إلا ان تصارحه بها، لذا اضافت:«من مدة ليست بعيدة اخبرتني بأنك لست طموحاً بشكل خاص، وعلى هذا، لماذا لا تخبر رؤساءك بأنك تفضل البقاء في لندن؟ من الواضح انهم يقدرون انجازاتك وإلا لما كانوا عرضوا عليك العمل في البرازيل. اطلب منهم ذلك وأنا واثقة بأنهم سيوافقون، وهكذا يحصل كلانا على ما يريد.»

حدق فيها بصمت وبدأ غافلاً عن عينيها الواسعتين المناشدتين وغير متأثر بعلو صدرها وهبوطه بفعل انفعالها. وأخيراً قال متنهداً:«لا، يا جاين، فأنت تعنين في الحقيقة بأنك انت ستحصلين على ما تريدين.»

«ولكنك قلت...»

«لا يهمني ما قلت. ولو قلت بأني لست طموحاً فذلك لا يعني بأني على استعداد لان أضيع اي فرصة تلوح في طريقي.» قطب جبينه، وعبر الغرفة جيئة وذهابا ومضى يقول:«هل تدركين ماهية هذه الوظيفة؟ انها ضربة موفقة غير متوقعة، وساكون شديد الحمق إذا رفضتها، سيعتقد الجميع بأنني فقدت رشدي وستكون نهاية الطريق في ما يتعلق بعملي في أتلانتيك أويل. وعندما قلت بأني لست طموحاً، كنت اقصد على الارجح بأني لا اضيع الترقيات على رأس اولوياتي، فهناك اشياء اخرى، هي اثمن، وأهم في نظري. و....» توهجت عيناه بغضب قاتم لم تعهده فيه وتابع:«احدها زواجنا، ولذلك توقعت منك ان ترافقيني الى البرازيل.»

«لذلك...» هذه المرة لسعتها الدموع التي انهمرت بغزارة. غرزت اظافرها في راحتيها وعلى الرغم من ذلك، اردفت بصوت مرتعش:«لذلك يصعب علي كثيراً ان افهم تصميمك على السفر.» ثم غادرت الغرفة وهرولت الى غرفتها، حيث ناضلت بضع دقائق لتسترد تماسكها.

ارتاحت ووقفت امام المرآة ترنو بغضب الى عينيها المحمرتين ولكنها شعرت بالارتياح لأن جيمس لم

يلحق بها ويشاهد وضعها المزري. وضعت القليل من الزينة على وجهها لترفع معنوياتها، ثم شدت الحزام العريض حول خصرها. يجب ان يحاولا تسوية الوضع ولا سيما قبل رحلتهما المقررة الى ساسكس في نهاية الاسبوع المقبل. فهي لا تريد بأي حال أن يرتاب والداها بوجود مشكلة في زواجها وخاصة انهما طارا الى جزر الكاريبي ليقنعاها بالتروي، ثم استسلما كلياً عندما تعرفا الى الرجل الذي وقعت في حبه، على اي حال، ليس هناك مشكلة، او على الاقل، إذا قامت مشكلة ما، فلن تعجز عن حلها. تنهدت ووضعت رشة عطر ثم استدارت الى الباب.

فوجئت بوجوده على العتبة ولم يحاول في لحظتها إخفاء غضبه حين قال:«جاين، لا جدوى من التظاهر على الرغم من اننا في نهاية القرن العشرين، ان مهنة الرجل تدوم ما دام حياً ولكن ذلك لا يطبق كقاعدة على الفتيات المتزوجات، وان كنت تريدين تأكيداً لذلك فاسألي لوتي.»

«أوه، لوتي.» ارتجفت شفتاها وفضحتاها.

«اجل، لوتي. التي تحترمين آراءها كثيراً، ماذا قالت لك؟ إذا افترضنا بالطبع بأنك بحثت الموضوع معها.» لكنها التزمت الصمت وتنهدت

بصوت مسموع وتشاغلت بتعديل الستائر، كرر بإلحاح:«اجيبي! هل قلت للوتي بأننا سنذهب الى البرازيل؟»

«اجل، ذكرت لها بأنهم عرضوا عليك عملاً هناك.»

«ثم...»

امتعضت من إلحاحه، ورفضت ان تعترف بمدى الحماسة التي اظهرتها لوتي لدى سماعها الخبر، ولذا اجابته بغضب:«ان كنت مصراً على معرفة رأيها، لقد قالت بأن ذهابي قد يكون تجربة مثيرة للاهتمام.» وفكرت فيما قالته لوتي آنذاك من دون ان تفصح عنه لجيمس. كانت قالت:لقد اقبلت الدنيا عليك، اليس كذلك، يا جاين؟ رحلة رائع الى بلد مثير. وبرفقة رجل على غرار جيمس! كم أغار منك!»

انتابها ما يشبه اليأس، كون لوتي التي تعتمد عليها في السراء والضراء بدت عازفة عن الموافقة على قرارها، ولذا سمعت نفسها تجيبها بشيء من الحدة:«لكني، يا لوتي لا استطيع الان ان اتخلى عن عملي وقد بلغت رأس السلم بعد انتظار طويل جدا فمنذ جئت الى بومونت وأنا اطمح الى منصب رئاسة التحرير لدى تقاعد السيدة ديفير.»

لم تتردد لوتي بتبرير موقفها، وقالت وهي تضع

الاوراق في آلة الكتابة:«وما اهمية الوظيفة إذا ما قيست بزوج وأطفال، لا أرى مجالا للمقارنة، اليس كذلك؟» كان ذلك صحيحا بالنسبة الى وجهة نظر لوتي التي طالما جاهرت بأنها تعمل فحسب، كي تؤمن لولديها تعليماً جامعياً و...

قال جيمس قاطعاً عليها افكارها المزعجة:«كنت احسب ان معظم النساء عندما يتزوجن يدركن بأنهن سيواجهن ظروفاً مستقبلية، يرغبن عندها بالتوقف عن العمل...»

ولكن جاين لم تكن في مزاج هادىء، بل إنها رفضت ان تنظر نحوه وقالت وهي تهز رأسها بحسم:«أنا لم أفكر بذلك ابدا...»

«لم تفكري ابدا!» كان في اقصى مظاهره الجذابة مثلما عرفته لأول مرة. ما أسهل الاستسلام له، ويا للبهجة التي ستعقب عذابات الايام الاخيرة. شعر بارتباك عواطفها، امسك مرفقيها ونظر في عينيها بثقة تملكية وردد بصوت اكثر عمقا:«لم تفكري ابدا....»

كان عنقه الاسمر امام بصرها مباشرة، يدعوها الى لمس جلده الحريري، ثم شبك يديه حول خصرها فنظرت إليه. لحظة اخرى وتستسلم، وتدعه يقنعها بأن تفعل كل ما يريده منها في حين

تلقى احلامها وطموحاتها في سلة المهملات، قال متفحصا تعبيرها بإمعان:«ألم تفكري، يا حبيبتي، بأنك ذات يوم، في المستقبل القريب، قد ترغبين بإنجاب طفل؟»

مرت لحظة قبل ان تستوعب اقتراحه إذ كانت مأخوذة باقناعه الى درجة ضيعت معها منطقها، ولكن عندما استوعبته، تبخر السحر وتراجعت مبتعدة قبل أن يتمكن من احداث مزيد من الضرر.

«كلا، يا جيمس.»

ولكن آلمها كثيراً أن تفصم الرباط وأن ترفض اقتراحه في حين لم تكن تبغي إلا ان تسعده، وتسعد معه... وتألمت حين رأت نظرته اللطيفة تبرد وتنكمش. «ما كدت فكرت في ذلك، صدقني. ربما لست من النوع الأمومي.» ورغم ذلك انبعث صوت ملحاح من عقلها الباطني وذكرها بأنها كانت قد أظهرت بعض التجاوب والاهتمام عندما ذكر جيمس مرة بأنهما قد يقرران إنجاب طفل في وقت ما... ولكنها مضت تقول:«كانت مهنتي دائما محور حياتي، ومنذ ان تزوجنا، يا جيمس، حصلت على كل ما اريد في هذه الحياة.»

علق بصوت فاتر وهو يشيح عنها:«انت تدهشينني وتخيبين أملي. لقد افترضت دائما... أوه، لا

عليك.» غادر الحجرة وعاد بعد لحظات وهو يرتدي سترته:«يجب ان اخرج وأبعث بهذه الرسالة، أوه، لا تقلقي إذا لم ارجع بسرعة.»

«ما... ماذا تقصد؟»

«اشعر بحاجة الى هواء نقي.» وابتسم ابتسامة مغتصبة:«قد اقوم بالهرولة حول المنتزه، إذا لم يهطل المطر. هل تودين ان ترافقيني؟»

«يجب... يجب ان انهي كتابة المقال، ليوم غد، ربما في وقت آخر...» وابتسمت بدورها بفتور.

«آه، نعم، بالطبع، المقال... نسيت ذلك.» ثم مال صوبها بحيث تلامس خداهما لحظة وأردف:«لا تقلقي، انا أكيد بأننا سنسوي الأمر على نحو ما، الا تعتقدين ذلك؟» استدار ووقف يده ممسكة بالباب وقال:«إن الزواج المتهور لا يتيح الوقت الكافي للتعرف الصحيح. إلى اللقاء، لن اتأخر.»

تركها تحدق في الباب المغلق، فيما اخذت الكلمات السلبية على انواعها ترن في اذنيها، وكانت خيبة الامل، أكثرها الحاحا. أجل، لقد خاب أمله فيها. إنما عليها ان تحتمل، فهي لو استسلمت له الآن ستضطر للتخلي عن كل خطة رسمتها لنفسها، والزواج لم يكن في الحقيقة واحداً من اهدافها البعيدة المدى، وكان مجرد امر واقع. إنما لا

يعني هذا انها ندمت عليه بل من المبهج بالنسبة اليها، ان تلتقي بجيمس ويحبان بعضهما البعض على الفور، ولذلك لن ترضى عن زواجهما بديلاً. باستثناء موضوع السفر. يجب ان تقنعه بالتخلي عن فكرة العمل في الخارج، فسوف تتوفر له فرص اخرى في المستقبل، وهي ايضا قد تشعر في المستقبل بأنها قد أثبتت قدرتها في مهنتها، وحيث ستشعر إزاءها باسترخاء أكبر، وقد تفكر، حتى في خوض حقل آخر من حقول العمل.

اما بالنسبة لإنجاب طفل، فهي لا تستطيع ان تتخيل حصول ذلك، ربما لأنها لم تفكر ابداً بالانجاب ولكن إذا كان جيمس يعلق عليه اهمية كبيرة... تنهدت بتعب ثم التقطت الاوراق والصور التي ستشكل اساسا لتحقيق مصور بعنوان عرائس الشتاء. لم تجد الوقت في المكتب لتنجز هذا التحقيق. وشعرت الآن بعزوف تام عن ايلائه الاهتمام المطلوب.

«لقد خيبت أمله...» حاولت بطرق شتى ان تتجاهل هذه الكلمات إلا انها اخذت تحفر في قلبها وتصيبها بالألم، وكأنها حامض حارق. اغرورقت عيناها بالدموع فتلاشت السطور والصور أمامها، ومرت لحظات قبل ان تتمكن من استعادة رباطة جأشها. يجب ألا تستسلم ثانية للبكاء والدموع وإلا

عجزت عن انجاز التحقيق الرئيسي لمجلة بومونت. إذ يجب ألا تدع حياتها الخاصة تؤثر على حياتها المهنية. وهكذا جلست الى مكتبها وأرغمت نفسها على التركيز.

www.kitabton.com Deprived of Affection

الفصل الخامس

كانو قد انتهوا من تناول العشاء وتأهبوا للانتقال الى غرفة الجلوس لشرب القهوة عندما ارسل جيمس لزوجته نظرة تحذيرية عبر المائدة. ثم ابتسم لحماته على ذلك النحو الكسول الذي يجذب النساء على اختلاف اعمارهن. وتجاوبت أمها باهتمام و لهفة مثلما سوف تتجاوب هي بعد عشرين سنة. ثم حاولت ان تبتسم لوالديها عندما قال جيمس مخاطبا حماته:«نانسي، اعتقد ان ابنتك تحمل لك بعض الأخبار.»

«أحقا، يا جاين؟» وضعت نانسي منفضة السجائر أمام زوجها. ثم نظرت الى ابنتها بتوقع ملهوف. كانت تحاول جهدها ان تسيطر عليه:«إذن، اخبرينا بسرعة، ولا تدعينا نقلق.» وتبادلت مع زوجها نظرة تفهم.

لكن هذه النظرة أوقعت جين في حرج وغيظ، إذ دلت بوضوح تام الى اعتقادهما بأنها حامل، وشعرت ان اللوم يقع على جيمس فهو لو كان اكثر صراحة وأقل غموضا... سارعت الى القول كي تضع الأمور في نصابها:«تعلمان ان السيدة ديفير

مريضة منذ أشهر...» وهنا نظرت الى زوجها بتحد متعمد، وتابعت:«ولكنها قررت اخيرا ان تستقيل، وكان من الطبيعي ان يعرضوا علي وظيفتها.»

ران صمت قصير، أكد لجين بأن والديها كانا يأملان في سماع خبر مختلف تماما. وهتفت أمها:«حبيبتي هذا نبأ رائع، أليس كذلك، يا آلان؟ كنا نعرف مدى رغبتك في نيل ذلك المنصب.»

هنا، نظرت جين الى زوجها ورفعت أحد حاجبيها وكأنها تطلب منه ان يأخذ علما بجملة والدتها الاخيرة. ولكنه زم شفتيه بعدم اكتراث وكأنه يجيب بأن أي وظيفة عدا وظيفته لا تستأهل الاهتمام... وقال لها والدها:«مبروك، يا جاين. لقد عملت معهم بكد وكنت على يقين من نجاحك. لقد اعترفت الادارة على الأقل بأنك كنت تريدين القسم في الاشهر الستة الماضية... ولو أنهم اختاروا شخصا سواك، لكانوا مجانين.»

قالت وهي ترمق زوجها عبر الطاولة:«ولكن جيمس لديه ايضا بعض الأخبار الجديدة، تكلم يا حبيبي.» وأشارت بيدها وكأنها تدعوه الى اعتلاء المسرح فيما انسحبت هي من تحت الاضواء. وحاولت ألا تتألم كثيرا من تعبيره الساخر الوقح.

روى لهما النبأ باختصار، ولما انتهى، صمت والديها لحظة ثم تكلما بالتناوب وكان واضحا انهما تحمسا لخبره اكثر. هتفت نانسي بابتهاج شديد:«هذه اروع مفاجأة! لا تسألا كم انا سعيدة من اجلكما.»

وعقب والدها:«أجل، هذا خبر عظيم، يا جيمس. لا شك بأنك مسرور بهذه الوظيفة خصوصا لأنها لم تكن متوقعة.»

عادت أمها تقول:«سوف نفتقدكما، بالطبع، ونتألم لفراقكما. كنت أتوق دائما الى رؤية أميركا الجنوبية... لا ادري لماذا، ربما لأني قرأت شيئا حول جبال الأنديز...»

قال زوجها مصححا معلوماتها:«لا اظن ان جبال الأنديز تقع في البرازيل، يا نانسي.»

لكنها تجاهلت مقاطعته وقالت:«اسكت يا حبيبي، ألا تلاحظ أني احاول ان احصل منهما على دعوة لزيارتهما هناك؟» ثم اردفت مخاطبة ابنتها وصهرها:«سوف يسعدنا الذهاب في زيارة، فهلا تلطفتما ودعوتمانا...»

ران صمت قصير، ولكن قبل ان يصبح محرجاً ابتسم لهما جيمس. وحدها جاين أدركت كم كلفته هذه الابتسامة. فهي ايضا بدأت تشعر بتوتر منذ

ان استيقظت صباحاً، وأحست به الآن يجثم كحجر ثقيل على صدرها.

احتبست الدموع في عينيها و نظرت الى جيمس منتظرة ان يرد على السؤال الذي لم يحسبا له حسابا فقال:«بالطبع أنتما مدعوان. دونما سؤال...» بدا واضحاً الآن انه يغتصب الابتسام، وصوب الى جاين نظرة اتهامية، وكأنه يقول، إنهما والداك، وتصرفاتك ستسبب لهما قلقا شديدا، ولكنك تلقين على كاهلي عبء التخلص من هذا المأزق. وقال لهما متابعا:«ولكن عليكما ان تتحملا رفقتي فقط لأن جاين قررت البقاء في لندن، فهي ايضا حظيت بفرصة رائعة في المجلة و... وكان من سوء الحظ الحصول على هذا التزامن. كانت تصبو منذ سنوات الى هذا المنصب، كما قلتما، ولذلك يبدو انها لن ترافقني الى البرازيل.»

سكت الجميع ولكن ست عيون تركزت على جاين بدهشة انتقادية رهيبة جعلتها تتوق لرفع يديها ودفع تلك العيون عنها.

هتفت أمها مؤنبة وغير مصدقة:«جاين! لا يمكنك ان تعني ذلك بأي حال! انك لن تدعي جيمس يذهب بمفرده الى البرازيل!»

قالت متظاهرة بسوء فهمها لمقصد نانسي:«إنه

رجل ناضج أمي ومعتاد على السفر، وسوف يجد البرازيل دونما حاجة لمساعدتي.»

«تعلمين، يا جاين أني لم اقصد ذلك.»

علق والدها الذي كان دائما اكثر دبلوماسية من أمها:«إنها فرصة عظيمة، يا جاين، وقد تندمين سائر أيام حياتك إذا لم تقتنصيها.»

«أجل، اعلم انها فرصة عظيمة.» كانت تبذل جهداً للسيطرة على تماسكها. وجالت ببصرها على الوجوه الثلاثة التي بدت لها عدائية وخالية من التفهم،

تابعت مبررة تصرفها:«قبل ان اعرف بترقية جيمس كنت قد وافقت على تسلم وظيفتي الجديدة. ان السيد جوسلن أخبرني بنفسه بأن مجلس الإدارة اختارني لهذا المركز. فأدركت بأنهم كانوا ينتظرون قرار السيدة ديفير النهائي كي يعهدوا به إلي. وقد فرحت كثيراً بطبيعة الحال ووافقت على الفور.»

رفضت في هذه اللحظة ان تنظر الى زوجها. فمن الظلم ان يحاول التأثير عليها بذلك التعبير الجامد المستنكر الذي يصعب التعامل معه. لو أنه اظهر استنكاره عبر الكلام لاستطاعت ان ترد عليه وتجادله، على الرغم من ادراكها التام لخيبة أمله.

هتفت أمها بارتياح ايقظها من شرودها:«يا

حبيبتي، أهذا كل ما يقلقك؟ كفي إذن عن القلق. فالسيد جوسلن سيتفهم وضعك حالما تشرحين له موقف جيمس، وسوف يحلك من تعهداتك.»

سألها والدها وكان رجل أعمال بدوره:«هل وقعت عقدا يا جين؟»

«ليس بعد، إذ لم يكن هناك وقت كاف. أنا...»

هتفت نانسي:«إذن، لن يستطيعوا ان يفعلوا شيئاً، و...»

قاطعتها جاين بتوتر:«أمي! بالطبع لن يستطيعوا ان يطالبوني قانونيا، ولكن، ألا يمكنك ان تفهمي؟ لقد عرضوا علي الوظيفة التي ما برحت اسعى إليها بكد منذ ان دخلت هذه الشركة. انا اريد هذا المنصب ولا أريد ان أرى شخصا آخر يحتله بدلا مني.»

شعرت نانسي بإخفاقها مع ابنتها، فقالت تناشد صهرها:«جيمس! أنا لا أفهم ما يجري! وأنت لن تسمح لها حتما بأن تتصرف على هذا النحو...»

«أمي!» هتفت جاين بغضب.

«لا جدوى من التكلم معي بهذه الطريقة، يا جاين. يجب ان تتذكري بأنك امرأة متزوجة ولا يمكنك التصرف على هواك.»

«لقد لاحظت بأني متزوجة.»

قال جيمس بلطف:«نانسي.» إنما بشيء من الحزم جعلها تستدير صوبه وتابع:«إن جاين تعرف موقفي بالضبط وتعرف ما اريدها ان تفعل.»

كان والدها يعبس بقلق، وفكرت جاين بأنه حليفها الوحيد في هذا النقاش. إذ كان يفرط في تدليلها ويدعها تديره كخاتم في اصبعها.

علق الآن:«جيمس، انت ترغب بالطبع في ان تذهب جاين معك؟ فأنتما تزوجتما منذ أشهر فقط.... أوه، من الصعب علي كثيرا ان أفهم.»

قالت جاين بحدة كي توضح هذه النقطة:«بالطبع يريدني ان أرافقه، يا أبي، ولكن يجب ان ترى بأني... مازلت راغبة في الاحتفاظ بوظيفتي، فأنا أحب هذا العمل و...»

هتفت أمها مخاطبة صهرها:«ينبغي ان تفعل شيئاً، يا جيمس! لا بد ان هناك طريقة ما كفيلة باقناعها.»

أجاب جيمس بكسل:«لقد بينت لها موقفي، ولكن مني النهاية يجب ان تقرر بنفسها، فعملها مهم جدا بالنسبة إليها.» كان على الأقل، يظهر بعض الولاء، ملمحا الى ان قرارها كان نتيجة لعدة مناقشات منطقية ومحاولات للوصول الى تسوية. إنما لم يعلمهما بأن كل تلك النقاشات والمحاولات الحامية لم تسفر عن شيء.

علقت أمها:«إذن في هذه الحالة، ليس ثمة ما يدعوك إلى...»

«ارجوك يا أمي!» كانت اعصابها في غاية التوتر وبدوا غافلين عن ذلك. هؤلاء الاشخاص الثلاثة، أكثر الناس أهمية في حياتها، بدوا عاجزين عن تفهم وجهة نظرها، بل ان تعابير الاتهام كانت مرسومة على وجوههم.

أوه. لماذا قررا المجيء الى هنا في نهاية الاسبوع هذه؟ لقد أملت بأن يدعمها والداها الى حد ما، إلا انهما خذلاها.

أحست بغصة في حلقها، فمنذ طفولتها كانا خير سند لها، يراقبان صعودها درجات النجاح بمحبة وإعجاب. أما الآن، وهي في أمس الحاجة إلى مناصرتهما... شق عليها الأمر فأرادت ان تصرخ وتحتج ولكنهما كانا ما يزالان يصوبان إليها نظرات الاتهام.

هتفت:«وانت، يا أبي... كم سمعتك تناصر آراء المرأة وتدعم حقها في ان تعامل كانسان مسؤول، أما الآن، وقد وضعت على المحك، فأراك تتخلى عن كل حس بالتوازن والانصاف.» ازدادت تحمسا للموضوع فتابعت بحرارة وانفعال:«لاحظت بأن كلاكما لم يلمح حتى الى ان جيمس يستطيع ايضا

ان يتخلى عن فرصته المهنية هذه، إذ من المسلم به في نظركما، ان تقوم المرأة بكل التضحيات المطلوبة. قد يكون من الخير ان نعود الى العصر الحجري ما دمنا نعيش بعقليته! لنفترض أني كنت عالمة شهيرة فهل كنتما ستعتقدان بأنها مهنة عديمة الأهمية؟ أخشى ان الجواب سيكون نعم.»

ثم أزاحت كرسيها وقالت بعدما وقفت:«والآن، اظن انه لم يعد هناك ما يقال، لذلك سوف أستحم وألجأ الى الفراش، كان اسبوعي مرهقاً وأنا متعبة.»

اعادت الكرسي الى مكانه بعناية ثم غادرت الغرفة وأغلقت الباب بتحفظ مدروس.

في وقت لاحق انضم إليها جيمس في غرفة النوم وكانت في هذا الوقت قد عطرت جسمها بكريم شذي استعملته بعد استحمامها، وجلست على السرير مع كتاب مفتوح اسندته الى ركبتيها. لم تكن قرأت فيه كلمة واحدة لعجزها التام عن التركيز. انشغلت في استذكار المشهد الذي حصل في غرفة الطعام. كان محرجا بالنسبة إليها ان تتصرف كمراهقة وهي في سن السابعة والعشرين، إلا أنها لم تندم على كلمة واحدة من الكلمات التي تفوهت بها... ولكنها قد تتعلم ذات يوم بعض طرق التكتم والخداع لنيل رغباتها.

ولذلك جاءت بقميص النوم الذي ترتديه الآن والذي كلفها غالياً على رغم سعره المخفض، ولكن إذا استطاع ان يخدم هدفها فلن تندم على ثمنه. كان من الساتان الخوخي اللون، صدره مزيّن بالشيفون ومطرز بالدونتيل، وله حمالتان رفيعتان انزلقت إحداهما عن كتفيها حينما انفتح الباب وولج جيمس الحجرة.

تسارعت خفقات قلبها، ورفعت شعرها عن جبينها وهي تراقب تحركاته من بين أهدابها الطويلة. وقف صامتاً على العتبة ثم أخذ يجول في أنحاء الغرفة الواسعة نازعاً قميصه... لقد مازحته مراراً بشأن هذه العادة، وضحك الآن ضحكة مكتومة.

استدار بسرعة ومشى الى السرير حيث التقط سروال البيجاما الذي يرتديه عادة، وقال ناظراً إليها ببرود:«كانت تأديتك رائعة في غرفة الطعام.»

وضعت الكتاب جانباً، وحدقت الى أظافرها كي تبعد بصرها عنه. انه يسحرها باستمرار.«لم تكن محضرة، ولكنها حصلت على ذلك النحو.»

استلقى بجانبها على الفراش، وعلق وهو يركز الوسادة تحت رأسه:«هل تدرين بأنك مازلت تضعين عقدك؟»

«حقاً؟ أوه، لقد نسيت أمره.»

كانت نبرة استغرابها مصطنعة باتقان. ثم غادرت الفراش وسارت الى منضدة الزينة حيث شرعت تفك العقد. رأته عبر المرآة يحملق فيها بتعبير غريب ومركز، فتسارعت خفقات قلبها وأنفاسها.

استدارت صوبه وقالت بتوسل ودلال وهي واعية تماماً لوقفتها الجذابة في قميص النوم:

«ارجوك ان تساعدني في نزع العقد. فالقلادة صعبة للغاية.» ثم رفعت شعرها عن عنقها، ونظرت إليه من خلال أهدابها نظرة كفيلة بتحريضه. «جيمس...» وعادت توليه ظهرها...

لما وصل الى حيث تقف ومال على كتفيها، شعرت بالدفء المنبعث من جسمه وقال:«أخبريني يا جاين.»

«ماذا أخبرك، يا حبيبي؟» ثم تحركت قليلاً. قال بنبرة كسولة وممغوطة بعض الشيء:«تبا لك ألا تقدرين ان تجمدي لحظة؟» وأخيراً تمكن من حل القلادة واستوضح وهو يناولها إياها:«الا تنزعين هذه الاشياء عنك أثناء الاستحمام؟ هل تضعينها دائماً؟»

كان خفقان قلبها العنيف يمحو كل ما حولها باستثناء وجهه الأسمر. همست وهي تمرر أصابعها على وجهه:«كلا، ليس دائما.»

أجابها بهمس مماثل:«من الغريب ان سلسلة القلادة في غاية الجفاف.»

«اجل، هي جافة جداً.» تطلعت إليه وفي عينيها شفافية داكنة حملت إليه توسلا ودعوة واهنة... وبراءة.

مضى يقول ويقترب منها:«من الغريب ايضاً ان القلادة لم تكن حول عنقك اثناء العشاء.»

ناشدته بهمس:«جيمس...»

«حبيبتي، ايتها الماكرة الصغيرة، لقد طال الوقت كثيرا.»

«يومان كاملان، بلا نهاية.» وقفت على رؤوس اصابعها وقبلته.

«ثقي يا جاين بأني لا اعتزم الانتظار لحظة اخرى مهما كانت الخلافات بيننا.» ثم رفعها عن الارض وحملها عبر الغرفة وألقاها برفق على السرير حيث وقف برهة ينظر اليها ثم جثى بقربها وقال وهو يأخذ يدها ويضعها على صدره:«تحسسي القلب لتدركي ما تفعلين بي.»

ثم اطفأت الانوار وغرقا في ظلام ناعم ملؤه البهجة.

همس لها:«جاين حبيبتي. قولي بأنك ستذهبين معي الى البرازيل، سوف ننعم معاً بأوقات رائعة.»

لكنها غمغمت شيئاً لم يفهمه ثم استسلمت للرقاد بعدما تنهدت برضا.

أما هو فاستلقى على جنبه وحملق في الظلام ومضى وقت طويل قبل ان يغفو بدوره.

الفصل السادس

كان القطار رطباً ومشبعاً بالبخار، وتفوح منه رائحة كريهة بعد يوم حفل بالملابس المبللة بماء المطر. جلست جاين في ركن منه وبها لهفة للوصول الى البيت كي تستحم بسرعة. من حسن حظها ان آرثر دعاها الليلة الى السهرة، فهي لو أمضت بمفردها ليلة اخرى في الشقة سوف... تنهدت بأسى واستسلمت بسهولة لحلم اليقظة والحنين الذي بدا الشيء الوحيد الذي يسيرها هذه الايام.

اصبحت الحياة، في الشهرين اللذين أعقبا رحيل جيمس مجرد روتين يومي بالنسبة إليها، ومع أنها تحب عملها المفعم بالحيوية إلا أنه لا يكفي لسد ذلك الشيء الجوهري والذي حملها يوم الأحد الماضي على التجول في أنحاء الشقة بحثاً عن... أوه، انها لا تعرف بالضبط عما تبحث.

لكنها تقر بأنه مرتبط بجيمس ويافتقادها له الى درجة اليأس. فلا شيء هيأها لألم الفراق عنه، وكونها بلا تجارب لم تجد ما يساعدها في التعامل مع الألم. في أي حال... زفرت بارتجاف، يجب ان

www.liilas.com Journal of affection

تبذل جهدها، على الرغم من المصاعب، لتمضي في حياتها ولتقبل حقيقة ان جيمس لم يظهر حتى الآن ولو إشارة واحدة تدل على أنه سامحها.

واجهها عبر الطاولة ليلة سفره وقال:«طلبي، يا جين بأن ترافقيني الى البرازيل.» كان وجهه صارما ومجهدا، وبدا ككتلة من الاعصاب المشدودة. كذلك لم يتأثر بتاتا بالعشاء الذي أجهدت نفسها في تحضيره كي تجعل منه مناسبة جديرة بالتذكر، ولم يلاحظ الخوان الزهري او الشموع الخضراء كما لو انه قطع الأمل من اقناعها.

قال:«إذا اصريت على قرارك السخيف هذا فسوف اعتقد حتما بأن عملك أهم من زواجنا بالنسبة إليك.»

«حبيبي!» كانت طوال ذلك اليوم قد اجهدت ذهنها في البحث عن مخرج الى ان ساعدتها لوتي على الرغم من استنكارها لموقف جاين، وقامت عنها بالاتصالات الهاتفية المطلوبة. تابعت جاين:«حبيبي، اتصلت اليوم بكل مكاتب السفر، وهناك امكانية... أوه، ما رأيك لو طلبت إجازة قصيرة بعد ستة اسابيع وقضيتها معك؟ بوسعي ان الحق بك نهاية اسبوع كي اطيل امدها. وربما، بعد ثلاثة أشهر أذهب اليك في نهاية أسبوع طويلة كي نلتقي في

منتصف الطريق. تخيل يا جيمس، بوسعنا ان ننزل في فندق اوشن باي، حيث سنستمتع كثيرا باستعادة ذكرياتنا، و...»

وهنا تلعثمت أمام وجهه الخالي من أي تعبير او تجاوب، فأردفت:«أعلم بأن ذلك سيكلفنا مالا كثيرا ولكن... حسنا، ما رأيك باقتراحي؟»

«تعرفين رأيي بالضبط. فأنا اريدك معي طوال الوقت، ولا أريد زوجة تداوم نصف دوام، زوجة تقفز عبر المحيط لتمضي كونها ادت واجبها الزوجي وصار بوسعها ان تمضي في حياتها الحقيقية لفترة اخرى.»

شحب وجهها ومنعت دموعها بالقوة من الانهمار على خديها. كان صعبا عليها ان تفهم لماذا يجور عليها الى هذا الحد... وقالت:«هذه وجهة نظرك، ولكني أرى الامر على نحو مختلف. وأنا أحاول على الاقل ان افعل شيئا حول...»

«ان كنت راغبة حقا في فعل شيء. فتعالي معي الى البرازيل، انه الحل الابسط.»

هتفت بصوت غاضب ومعذب:«لماذا كل هذا العناد والاصرار؟ لقد ناقشنا الموضوع مرة، وشرحت لك بأني لا استطيع ان اترك بومونت في الوقت الحاضر، أنا...»

قاطعها بقسوة:«إذاً متى تستطيعين؟ حددي لي موعداً يا جاين لعلنا نتمكن من إيجاد حل. اخبريني متى ستصبحين على استعداد لترك بومونت؟»

«لا استطيع يجب ان تتفهم ذلك. أوه، من السهل ان احدد موعداً، لأكتشف فيما بعد بأنه غير مناسب.»

كان صوتها يرتجف انفعالاً، وعيناها تترقرقان بدموعها الحبيسة:«ولكني أحاول ان اكون صادقة معك، فإن لم نقدر ان نكون صاديقين مع بعضنا البعض، فلن يكون هناك أمل كبير في مستقبلنا معاً.»

«كلا، لن يكون هناك أمل. قد تكونين على صواب.» ثم نظر إليها وكأنه ما كاد يعرفها وتابع:«في أي حال، لا أظن انه تبقى لدينا الكثير مما نستطيع ان نقوله لبعضنا البعض، الا ترين ذلك؟»

«جيمس!» شعرت كما لو ان يداً كانت تنزع قلبها من صدرها، وصعب عليها كثيراً ان تصدق ما يحصل لهما.

ابتسم بتكلف وقال:«يجب ان أنجز بعض التقارير قبل سفري غداً. وأنت متعبة ولا ريب، لذلك اقترح بأن تأوي الى الفراش وتنامي. سأتأخر بعض الوقت.» حملقت به بصمت، إذ خشيت ان تنفجر بالبكاء

إذا ما تكلمت. كانت خائفة من كل الاشياء التي تحصل لحياتها. ابتعدت عنه بهدوء وشرعت تنقل اطباق الطعام الى المطبخ، حيث جرفت عنها بقايا اللحم والكستناء والكريما، ورصتها في الجلاية الكهربائية. ثم رفعت غطاء الطاولة والفوط ووضعتها في سلة الغسيل، اخيراً، غسلت الكؤوس البلورية وأعادتها الى الخزانة.

بعد ذلك امتثلت لاقتراح جيمس فأوت الى الفراش واستلقت عليه تحملق في الظلام وتنتظر انضمامه إليها. ولكن عندما استلقى الى جانبها، تاقت لأن تمد يدها وتلمسه ولكن كرامتها أبت عليها ان تقوم بهذه البادرة التي قد يعتبرها اعتذاراً، فكيف تعتذر له وهو المخطىء في حقها؟ وهكذا استلقت بجمود وعناد تنتظر منه ان يقوم بالخطوة الأولى، ان يطوقها بذراعيه مثلما يفعل دائما كي يذكرهما هذا العناق بأن كليهما يشكل نصف الآخر، إلا أنه سارع الى اطفاء مصباح المنضدة واستسلم للنوم فوراً.

في الصباح، قال انه يفضل ألا ترافقه الى المطار لتودعه. حالت كبرياؤها، للمرة الثانية، دون اعلامه بأنها أخذت إذنا بالتغيب. وأعلمها بالترتيبات المادية التي قام بها، ولكنها قاطعته، من باب المساعدة،

www.hilas.com

ولكي توقف الألم المختلج في داخلها: «جيمس، ارجوك ألا تقلق من هذه الناحية، فالمال الذي أجنيه يكفي تماما لـ...»

«آه، اجل، هذا هو بيت القصيد، أليس كذلك؟»

«ما... ماذا تعني؟» وفي تلك اللحظة رن جرس الباب بإلحاح.

قال جيمس وهو يحك خده بظاهر يده: «سيارة الأجرة وصلت.» ثم نظر إليها بحنان مرير، ممزوج بالحزن وقال مجيبا على سؤالها: «عنيت يا جاين ان شابات جيلك الاستقلاليات والناجحات يرفضن من إعالة الرجال لهن. والآن اريدك ان تعتني بنفسك، هل فهمت؟ فأنت مميزة جدا، يا جاين، وستظلين دائما...» وعاد الجرس يرن متواصلا فاتجه جيمس الى الباب وقال متنهدا: «حان الوقت. وداعا يا جاين.» ثم رحل.

الآن، وهي جالسة في القطار، تذكرت طعنة الألم الرهيب وموجة الذهول الكامل اللتين أوشكتا ان يغرقاها، حتى لحظة خروجه لم تصدق فعلا بأنه سيرحل، إذ لا بد وأن يحصل شيء ما، كأن تلغى مشاريع البرازيل بطريقة عجائبية، وتمسي واحدا من تلك الكوابيس التي تتوقف قبل ان تحصل. ولكنها اصبحت فجأة لوحدها، وأكثر وحدانية من

أي وقت مضى. لذلك كانت ممتنة كونها ستجد بعض الترويح في سهرة الليلة.

تمهل القطار فنهضت استعداداً للنزول. كان لطفاً من آرثر ان يتعب نفسه كثيراً في تأمين التذاكر، فالأماكن محجوزة لعدة أشهر مقبلة. ثم انه لا يحب هذه الاستعراضات الموسيقية الخفيفة. ولكن يبدو انه شعر بحزنها فرغب في الترويح عنها. من ناحية اخرى، ستذهب بعد اسبوعين الى ساسكس لتمضي إجازة عيد الميلاد مع والديها. ثلاثة أيام كاملة ستتمكن خلالها من الراحة والاسترخاء، إنما سيتوجب عليها ان تؤلف لهما سيناريو كاملا حول نشاطات جيمس في البرازيل.

لقد راسلها بالطبع، مرة او مرتين، وكانت الرسالتان محشوتين بتفاصيل حول الأوضاع المحلية، واستفاض في شرحه لقصة قطة صغيرة قال انها لجأت إليه ثم انجبت مجموعة جراء ولا يطيب لها النوم إلا في الخزانة. انها رسائل مسلية لو وردتها من عم عجوز، أما ان تردها من الرجل الذي تحب... أجابته جاين بالأسلوب ذاته فتحدثت عن انهماكها في المجلة، واصفة بالتفصيل رحلة مقررة الى باريس في مطلع العام الجديد كي تطلع على احدث تصاميم الأزياء. افترضت بأنه سيضجر

كثيراً لدى قراءته هذه التفاصيل حول حياتها المهنية فهو لم يظهر مرة أي دلالة على اهتمامه بعملها. أما الآن فإنها ترثي حالها.

في ذات يوم، استبد بها حنين يائس عجزت عن اخماده فالتقطت سماعة الهاتف وطلبت رقم بيته. اصغت الى الرنين على الطرف الآخر، وضغطت على صدرها لتهدىء من خفقان قلبها، وعندها فقط تساءلت عما ستقول له، ولكنه لم يجبها بنفسه، بل رد عليها صوت نسائي خفيض ومثير.

تلعثمت جاين وهي توضح طلبها بالتكلم مع السيد جيمس ثم سمعت الصوت المثير ثانية والذي قدرت بأنه يخص امرأة شابة. تخيلتها سمراء شديدة الجاذبية ومعتادة على مصادقة الرجال:«جيمس، عزيزي، المخابرة لك.»

انتظرت جاين بضع لحظات ثم تناهى إليها نقر كعب حذاء على ارضية الغرفة، وعادت المرأة لتقول:«لحظة من فضلك، انه يستحم ولكنه سيأتي ليكلمك.» ولكن لما التقط جيمس سماعة الهاتف وجد الخط مقطوعاً، فافترض بأن المخابرة التي كان ينتظرها من مكتب لندن قد قطعت لسبب ما. في حين صمتت جاين، الممزقة بالغيرة، على ألا تخابره ثانية. كان يجب ان تدرك... امتناعه عن

الاتصال بها هاتفياً، انه يعرف مكانها، وما عليه إلا ان يرفع السماعة ويطلب الرقم. ولكن صمته المتعمد يخفي وراءه الكثير...

هرعت الآن الى المبنى وعبرت الردهة بسرعة ودخلت المصعد. ان الوقت يداهمها ويجب ان تستعد للقاء أرثر. لمحت الحاجب يخرج من غرفته ويلوح لها، ولكنها كانت قد ضغطت على زر المصعد عندما هتف باسمها وأبلغها بالإشارة بأنه يحمل لها رسالة ما، فأثرت ان تنتظر حتى تنزل ثانية وتتسلمها منه.

تنهدت وهي تفتح الباب الأمامي، ثم رمت معطفها وحقيبتها على كرسي في غرفة النوم الاضافية التي انتقلت إليها بعد سفر جيمس، كي تنأى عن مخدعهما الزوجي المليء بالذكريات، ألقت نظرة على ثوب السهرة الذي هيأته مسبقاً هذا الصباح ووضعته على السرير ثم نزعت فستانها. ولما توجهت الى غرفة الحمام، توقفت فجأة لدى سماعها حركة خفيفة، واقشعر بدنها خوفاً عندما استنتجت وجود شخص آخر في الشقة.

كانت هناك مرآة يدوية ثقيلة على طاولة الزينة فاختطفتها وتقدمت بحذر إلى وسط الردهة وهي تتلفت حولها. حتى تأكدت من ان الصوت ينبعث من مخدعهما الزوجي ورأت شعاع نور تحت الباب

فخفق قلبها ذعراً، وعندما لمحت صورتها في مرآة الجدار اشتد خوفها إذ من الحماقة ان تواجه اللص على هذا النحو. كانت على وشك اقتحام الباب والشروع في الصراخ، فإذا به ينفتح فجأة و... ويقف على عتبته شكل رجل متدثر بمنشفة زرقاء. ومع انها لم تر وجهه إذ كان يجفف شعره بمنشفة أخرى، إلا انها ميزت جسمه الذي عرفته بالتفصيل. قفز قلبها بغبطة وفرح.

مرت لحظة قبل ان يدرك جيمس وجودها، فلف المنشفة حول كتفيه، وتفحص محياها ثم هبط ببصره الى كتفيها وذراعيها العاريتين من الثياب، وأعاده بحذر إلى وجهها، وخاصة الى فمها، فأحست بشفتيها تنفرجان مع تسارع تنفسها، ولكنها رأت في عينيه تحفظاً، حجب تلك الومضات العنبرية، ولم تشجعاها البتة على الركض إليه ومعانقته.

اصطكت ركبتاها فتهاوت على كرسي وألقت بسلاحها على الطاولة القريبة:«جيمس! ماذا تفعل هنا!» ثم اجتاحها الغضب وأطاح بسرورها السابق:«لقد ارعبتني! كان بوسعك ان تعلمني بقدومك.»

«آسف.» ولكن نبرته انكرت أسفه. «ظننت ان تيد، الحاجب أعلمك في أي حال، لم اتوقع ان تبكري في

العودة هكذا، فساعات الدوام في المجلة لا تنتهي الآن حسبما أذكر.» ثم التقط المرآة اليدوية، وسألها وهو يزنها بيده:«ماذا أردت ان تفعلي بها؟»

«ماذا تظن أنت؟ لقد سمعت حركة مريبة فحسبت ان لصاً اقتحم الشقة، وقررت ان استعملها كسلاح لأدافع عن ممتلكاتك.»

«بهذه الملابس المغرية؟»

فتورد وجهها وأجابت بتحد:«أنا في بيتي، وبوسعي ان ارتدي ما يحلو لي.»

شعرت بالخيبة والمرارة فنهضت ودخلت الى غرفتها، متجاهلة أمره. لحق بها ووقف يراقبها.

بعدما لاحظ فستان السهرة الشفاف الممدد على السرير، قال يذكرها:«قلت سابقاً انك بكرت في العودة من عملك.»

ارتدت روبها وذهنها في دوامة، فبعد نصف ساعة سيصل آرثر، وهو الآن في طريقه إليها. وأجابت زوجها:«كنت سأخرج هذا المساء.»

سار عبر الردهة، فتبعته. ووقفت عند باب غرفتهما فيما اختفى داخل الحمام، ثم خرج منه على الفور وقال وهو يعقد حزام روبه الأزرق:«يسرني ان تخرجي ويسرني انك لم تلزمي البيت في غيابي، تعانين من آلام الكآبة والوحدة.»

الوحدة؟ وماذا يعرف هو عنها؟ هو و... امرأته! كان من السهل عليها ان تصرخ في وجهه، لن تعلمه بأن سهرة الليلة هي الأولى منذ سفره، ولكن الوقت غير مناسب، فقد يصل آرثر في أي لحظة.

«لم أتوقع عودتك، يا جيمس ولو اني عرفت بقدومك فهل تظن فعلاً أني كنت سأخرج؟» كان ذهنها يعصف باحثاً عن حل المشكلة... ماذا ستقول لآرثر عندما يأتي؟ فمع عودة جيمس لا يمكنها ان تخرج معه بأي حال، على الرغم من ان اصطحابها الى مكان مميز قبيل العيد الميلاد صار تقليداً سنوياً بالنسبة إليه.

أجابها جيمس بجمود وامتعاض:«كلا، في أي حال، أنا نفسي لم اعرف بأني سأعود الا قبل بضعة أيام. لقد حصل الأمر فجأة، حاولت ان أخابرك ليلة أمس ولكني لم أنجح في الاتصال.»

«أوه.» تذكرت بأنها رفعت سماعة الهاتف ليلة أمس أوت باكراً الى الفراش، ولكنها لم تعترف له بذلك واتجه ذهنها الى أمر آخر:«هل ثمة سبب خاص لعودتك، يا جيمس؟ فالمسافة بعيدة...»

«صحيح، انها مسافة بعيدة.» كانت نبرته الجافة تسخر على تعليقها السخيف، ولكنها لم تلاحظ ذلك إذ كانت مستغرقة في مراقبته وهو يحني قامته

المديدة أمام المرآة ليسرح شعره:«وصحيح ايضاً، ان هناك سبباً خاصاً لعودتي.» كان يراقب انعاكسها بدقة، فرآها تتورد ثم تشحب وهي تتساءل عن ذاك السبب. انه يعرف بالضبط بما تفكر وكيف تشعر ولذلك كانت كلماته التالية فجة وصريحة:«لقد جرت إعادة تنظيم شاملة في الشركة وبطبيعة الحال...» استدار بسرعة وواجهها وأردف مستنداً الى طاولة الزينة:«تم الاستغناء عن خدمات عدد من الموظفين الفائضين.»

استغنوا عن خدماته؟ اخترقت الكلمات ذهنها كسهم وللمرة الثانية اضطرت لأن تكبت تلك الرغبة الجارفة في ان تركض إليه وتعانقه كي تواسيه بأي طريقة يتوقع من الزوجة ان تواسي بها زوجها. ولكن تعبيره الجامد خنق توقها، وقالت باستنكار:«ليس أنت، لن يستغنوا عنك، يا جيمس لا لن يفعلوا.»

«لم لا؟ ما دمت انت فعلت ذلك.»

تكلم بمرارة بالغة، فداخلها شك بأنه قاد حوارهما وخطط له كي يصل في النهاية الى انتقامه هذا. اكدت لنفسها بعدما دخلت غرفتها وأخذت تضع القلادة والقرطين بأصابع مرتجفة، بأنها كانت تفضل مئة مرة لو انه صفعها.

وضعت الماكياج من دون انتباه مع انه كان هذه

المرة أكثف قليلاً من المعتاد. ولما وقفت أخيراً أمام المرآة بدا مظهرها مقبولاً، فألوان الفستان الخضراء والزرقاء تناسبها، ولكنها تمنت فقط لو ان جيمس رغب في بقائها معه، كي يتكلما او لتصغي إليه، بيد أنه خذلها ثانية عندما حاولت الحفاظ على برودها، واستطاعت بعد دقيقة عذاب ان تقول له بهدوء:«ليست لدي رغبة في الخروج، فلا بد انك جائع، و...»

«ارجوك، لا تفكري بتغيير خططك من أجلي. ثم...»

«لكني أفضل ان ألغي هذه السهرة.»

«أنا افضل ألا تفعلي، في أي حال، سيأتي شخص لزيارتي هذا المساء إذ يجب ان نضع خططاً للمستقبل، و...»

«حسناً، إذا كان هذا ما تريد.» لم تصدق بأنهما كانا يتخاطبان تخاطب الغرباء.

«أجل، هذا هو ما أريد.» ثم سار مبتعداً عنها.

حين خرجت لاحقاً من غرفتها، كان ارتدى سروال جينز نظيفاً وقميصاً نيلية وكنزة صوفية، نظر الى فستانها بإعجاب ساخر وقال:«يبدو انك ستمضين سهرة مميزة.»

«سنحضر الاستعراض الموسيقي الاميركي الجديد.» لم تجد اي جدوى من اعلامه بأنها

اشترت الفستان من أجله كونه يحب هذه الألوان و... ومضت تقول:«جيمس، أكرر بأني أفضل البقاء.» وهنا رن جرس الهاتف الداخلي، فالتقط جيمس السماعة القريبة منه:«أهلاً، يا تيد.» ثم أصغى بضع لحظات وهو يركز بصره على محياها، وقال:«حسناً، سأبلغها الرسالة الى اللقاء.»

ابتسم بمرارة وجمود:«إذن، ستخرجين مع آرثر؟» وعاد يتفحصها من أعلى شعرها البراق حتى حذاء السهرة الأخضر والمذهب، ولاحظت انه لاحظ اصطباغ محياها عندما ذكر اسم رفيقها، كان دائماً يرتاب في علاقتها بآرثر ويستنتج أموراً لم تحصل بينهما بتاتاً، وأردف قائلاً:«آرثر يطلب منك الاسراع، فهناك ازدحام في حركة السير وقد تأخرتما قليلاً عن الموعد المحدد.» ثم أشاح عنها والتقط رزمة الأوراق التي كان يعمل بها لدى دخولها الغرفة.

«جيمس أنا ...» كان عليها ان تقوم بمحاولة أخيرة لتصلح بعضاً من سوء التفاهم.

قال ناظراً إليها بشرود:«من الخير ان تمضي، وأرجو ان تشكري آرثر نيابة عني، أخبريه بأنني ارتحت كثيراً حين علمت بأنه كان يعتني بك في اثناء غيابي.»

الفصل السابع

على الرغم من ضخامة الانتاج وفخامته، راقبت جين العرض وهي مشتتة الافكار. فحين تسمع الجمهور يهتف حبوراً وإعجاباً كانت تشارك في التصفيق ولو متأخرة قليلاً، وتبادل آرثر نظرات الاعجاب عندما تخرج نفسها من افكارها الموجعة وتجد عينيه مسلطتين عليها. وكانت مقتنعة بأن شيرلوك هولمز، لو كان حاضراً، لما تمكن من ملاحظة شرودها.

في طريق العودة إلى شقتها شكرته بحماس مفتعل على السهرة الرائعة، وعندما مر بالمنتزه المجاور لبيتها دعته من باب اللياقة لشرب فنجان قهوة.

قال بتردد:«أوه، لا يجدر بي ان افعل... فالوقت متأخر وأمي سوف تقلق. هذه المنطقة السكنية بعيدة نسبيا، أليس كذلك؟»

«آسفة يا آرثر، كان يجب ان أعود بسيارة أجرة، لأوفر عليك هذه المشقة. هلا غيرت رأيك وصعدت لتشرب قهوة، سوف يسر جيمس.»

«بل أنا متأكد بأن جيمس يتلهف للاستئثار بك. وهذا ما سأشعره أنا لو كنت في مكانه.»

«شكراً يا آرثر.»

اوقف السيارة أمام المبنى فمالت صوبه وطبعت قبلة على وجنته:«كانت سهرة رائعة، ان ذهابنا الى المسرح يعني دائما ان العيد أصبح على الابواب. ولكني لم أعرف بعد كيف حصلت على التذاكر، هل احسبك لجأت الى الرشوة؟»

ضحك خجلاً، إذ سره ان تتهمه بالاحتيال، هو الذي لم يحد في حياته، ولو مرة عن الطريق المستقيم.

«كلا، لكن هناك طرقا ووسائل اخرى. والآن امضي بسرعة، إذ لا أريد ان يسألك جيمس عن سبب تأخرنا الى هذا الحد.»

«لم يسأل، لقد كان ينتظر زميلاً، ولا بد انهما مغمسان في مناقشات مهنية هامة. وبما ان جيمس كان منشغلا فهو يشكرك على اعتنائك بي. طاب مساؤك يا آرثر، وشكرا.»

في البداية، وعلى الرغم من المصابيح المضاءة في الردهة، خالت نفسها لوحدها في الشقة. ثم سمعت ضحكة خافتة وأصواتا مغمغمة، وموسيقى منبعثة من غرفة الجلوس.

تسللت إلى غرفة نومها حيث نزعت معطفها. وراجعت مظهرها في المرآة. كانت شاحبة المحيا، إنما لم تحاول التبرج من جديد. كانت مرهقة

جسدياً وعاطفياً، وليس لديها ادنى رغبة لتقوم بدورالمضيفة الكاملة أمام زميل زوجها. كانت تستطيع فقط ان تطل عليهما من الباب وترحب بالضيف ثم تعود أدراجها الى غرفتها.

دفعت الباب فواجهها المشهد المألوف، جيمس جالساً على الأريكة، لا يبدو منه سوى مؤخرة رأسه، كان المشهد يحثها على ان تفعل ما كانت تفعله من قبل على نحو طبيعي غريزي ان تسير إليه، وتلصق خدها بخده وتطوق عنقه وتطلب منه الصفح.

فاجأتها الفكرة وصدمتها الى حد الذهول الموقت. فقد وعت الى مدى حبها له فغشت الدموع عينيها. أجل، يترتب عليها الآن ان تطلب صفحه، فلا بد أنه في غاية الألم والمعاناة. مثلما ستشعر هي في ما لو استغنت بومونت عن خدماتها في يوم ما. ولكن صلواتها استجيبت وعاد إليها. وهي لا تطلب سوى وجوده معها في شقتهما الجميلة.

آه، ادركت بارتياح ولأول مرة بأن عدم تخليها عن وظيفتها سيؤهلها الآن لإعالتهما معا إذا ما دعت الضرورة. لن تخطىء لعلمها بحساسية جيمس تجاه هذا الموضوع. أجل. انها تخطىء وتتعلم دروساً مفيدة من أخطائها.

أحست بالارتياح لهذه الأفكار، تنهدت، ثم ابتسمت حين لمحت انعكاسها في المرآة ولمحت فستانها الاخضر المهفهف، ذا المظهر الرومانسي الذي يستهوي جيمس عادة. اجتازت عتبة الغرفة فتلقت صدمة ثانية كانت أشد إيلاماً من الأولى، فقد استطاعت الآن ان ترى شيئاً لم تفطن له من قبل. كان الشخص الذي ذكره جيمس أنثى جذابة تجلس بقربه على الأريكة مثلما كانت هي تجلس.

اغلقت الباب خلفها بصوت مسموع فرفع جيمس رأسه والتقت عيونهما في المرآة. ابتسم لها ابتسامة آلية مصطنعة، ورمقته هي باضطراب. اذ تذكرت اتهامه الاخير وما سببه لها من عذاب، فأدركت كم كانت غبية حين استسلمت بضعف لمشاعرها الرقيقة ورغبتها في المصالحة.

«جاين!» وقف وواجهها، ولكنها لم تنخدع بالطريقة اللطيفة التي نطق بها اسمها، فهو ما فعل ذلك إلا ليؤثر على زميلته.

«لم أسمعك تدخلين.»

«كلا، لم تسمعني. أعتذر ان كنت اتطفل.» ثم استدارت حين اعتدلت المرأة في جلستها وواجهتها بوجه جامد، ولكنها استطاعت ان تظهر بعض الاهتمام عندما قدمها جيمس معرفا:«حبيبتي،

دعيني أعرفك الى ميراندا دي موبراي، كانت يدي اليمنى طوال مدة عملي في الشركة. ولكني سبق وتحدثت عنها. ولذا تعرفين مدى أهميتها عندي.»

ما ان تفوهت ميراندا ببعض الملاحظات بلكنة غريبة مائعة حتى حكمت جين عليها بالابتذال، وأحست بالغضب لإن جيمس أتى بها الى بيته. لا، الى بيتهما معا. فكرت والغيرة تنهش قلبها، لقد كانت ظنونها الأولى في محلها. اخطأت بعد ذلك الاتصال الهاتفي بالبرازيل بالتخلي عن تلك الشكوك. إذ ارادت حينذاك ان تنصف جيمس، ولم تشأ ان تصدق بأنه على علاقة معها لمجرد انها تملك صوتا مثيرا.

الآن. ارغمت نفسها على التمسك بالهدوء وعلى السيطرة على غضبها، فقد تبين لها من ناحية اخرى انها اخطأت حين تخيلتها طويلة القامة، مثيرة النظرات والتصرفات. في الواقع، هي ضئيلة الجسم مع ان عينيها قد تلتمعان بتوهج إذا ما دعت المناسبة. كما اتضح لها بعدما اقتربت منها أكثر، بأنها تقارب الأربعين من عمرها وقد أكدت ذلك التجاعيد الدقيقة حول عينيها.

إلا انها كانت جذابة وأنيقة في بساطة، التايور الذي ترتديه على الرغم من مظهره البسيط، لم

يخدع جاين الخبيرة في الأزياء، ففي مكان ما من هذا التايور المخملي الأرجواني الذي يتناسب بروعة مع لونها الخمري وشعرها الأسود يوجد اسم مصممه الشهير.

مع زوال توترها انتفى اعتقاد جاين بأن جيمس على علاقة بميراندا، إلا إذا كان وجودهما معا في البرازيل قد دفعه الى ذلك... ابتلعت غصتها وتساءلت عما إذا كانا قد عرفا بعضهما منذ وقت طويل، قبل ان تلتقي هي بجيمس وتتزوجه.

أصرت على المضي في تعذيب نفسها وتحريك السكين في قلبها، ففكرت بأنهما يبدوان مناسبين، كما كانا يتصرفان بمودة وعدم تكلف، وتربطهما صداقة متينة مثلما تربطهما علاقة. توردت حين انتبهت بأن ميراندا كانت تتفحصها باهتمام مماثل لاهتمامها. ثم نظرت الى جيمس عندما استفسر عن السهرة.

قالت جاين بحماس مصطنع خفف قليلاً من مرارتها:«كان استعراضاً رائعاً ومفعماً بالألوان والموسيقى الخلابة التي يتوقعها المرء في انتاج ضخم كهذا.»

«وكيف حال آرثر؟» ثم استدار الى زميلته وأردف كما لو أنه يشاركها مزحة خاصة:«آرثر ديفيز

هو المسؤول المالي الألمع في دار بومونت للنشر.»
تجاهلت تعليقه والغضب يتأجج في داخلها. كيف يجرؤ على الهزء من آرثر الذي لم يتظاهر أبدا بأكثر من كونه مجرد زميل وصديق لها؟
سألت ميراندا مبتسمة:«هل تحبين الموسيقى؟»
ضحكت المرأة وضحك جيمس. ثم قال مشيرا الى جهاز الستيريو المنبعثة منه الموسيقى الخافتة:«ذلك تسجيل لميراندا.» ثم رفع صوت الجهاز وأسفر الإيقاع الخافت السابق عن عزف غيتار وغناء، وكان تناغما عاطفيا نابضا بالحياة، وهذا ما كانت تتوقعه من هذه المرأة، واضطرت للإقرار بينها وبين نفسها بجمال الصوت وقوته وقدرته على الانتقال السريع من مقام عال الى آخر منخفض للغاية.
مع انتهاء الشريط ابتسمت لها ابتسامة مشرقة مزيفة وعلقت بسخرية وهي تكبت غيرتها:«خسارة، إنك لم تجلبي غيتارك معك. وإلا كنا أقمنا حفلة موسيقية. والآن سأحضر قهوة لنا جميعا.»
فيما هي تنتظر غليان الماء في الابريق أخذ قلبها يخفق باهتياج، صعب عليها إدراك السبب.
سمعت خطوات جيمس تقترب من المطبخ ولما نظرت بطرف عينيها رأته يقف عند العتبة، أدركت ان توترها هو سبب اضطرابها. وسألته بصوت

مرتعش:«هل تعلم ان كانت تتناول السكر مع القهوة؟»
«إذا جرؤت ثانية على مخاطبة ضيفة على ذلك النحو...»
استدارت بلمح البصر وهتفت:«ضيفة؟ حسبت انك كنت تنتظر زميلا!» كانت منفعله للغاية إذ تذكرت مشاعرها الرقيقة السابقة تجاهه وكيف أوشكت ان تطلب صفحه فشعرت بالمهانة من جراء ضعفها ذاك.
مضى زوجها يقول:«كل من يدخل هذا البيت هو ضيف، بغض النظر عن الهدف من زيارته، كنت وميراندا نحاول منذ الساعة الثامنة ان نحل بعض المعضلات الجذرية، وقد ضحت بوقتها الثمين لتساعدني.»
تذكرت، بإحساس مفاجىء بالذنب، بأن الطاولة المنخفضة أمام الأريكة كان عليها أوراق مطبوعة مبعثرة، وبأنها لمحت جهاز كومبيوتر صغيراً على السجادة و...
«وإذا تواقحت ثانية من الزوار...»
«لم أكن وقحة كما تزعم.»
«بل اقتربت كثيراً من حدود الوقاحة بحيث بدوت كذلك.»

نظر إليها لحظة وأردف وهو يخرج:«أجل، إنها تتناول سكر مع القهوة وحليبا ايضا، ان لم يكن في ذلك إزعاج لك.»

الآن، من منا الوقح؟ تساءلت وهي تسير بغضب في أرجاء المطبخ. وتخبط الفناجين على الاطباق وتفتح علبة البسكويت الذي اشترته لتقدمه لآرثر. ولكن حين عادت الى غرفة الجلوس كانت قد سيطرت على أعصابها، وأخذت تجاذب ميراندا أطراف الحديث بسحر ودماثة، وراعت ان تركز على موضوع الموسيقى فطرحت عليها استفسارات عدة وسألتها كيف توفق بين الموسيقى وبين عملها في شركة النفط.

رفع جيمس بصره عن رزمة الأوراق التي كان يوليها اهتمامه اثناء حديثها مع ميراندا وقال:«إذا اردت ان تأوي الى الفراش، يا حبيبتي...» فوجئت جاين بكلامه واصطبغ وجهها بحمرة ثانية كان لا بد للزائرة ان تلحظها. أما كلمة التحبب التي نطقها برقة ولطف فقد اختارها خصيصاً ليستر بها حقيقة وضعهما الزوجي. ومضى قائلاً:«ثمة أمور عالقة يجب ان أبتها مع ميراندا.» ولما التزمت الصمت، ابتسم لها على نحو كسول جذاب وأردف:«أعلم انه يتوجب عليك الاستيقاظ عند الفجر.» ثم أضاف

موضحاً لزميلته:«إن عمل جاين يتطلب منها جهوداً متواصلة.»

«حسناً.» ولكن كان بودها ان تقذفه بفنجانها انتقاماً لعواطفها المتأرجحة بين علو وهبوط. تابعت وهي تجمع الأواني على الصينية:«ان كنت متأكدا من أنك لن تمانع.» ثم ابتسمت لميراندا:«سررت كثيراً بلقائك. لعلنا نلتقي ثانية في وقت ما.» مع انها كان تعلم بأن احتمال لقائهما ضعيف في الظروف الراهنة.

«سنلتقي بالطبع.» أجابتها ميراندا بثقة كبيرة أدهشت جاين، ولكن جيمس لمح عندئذ الى ان خبر تركه العمل لن يعلن إلا عندما ينتهي عقده في آخر الشهر. من يلومها؟ قالت جاين في نفسها وهي تضع الأواني في الجلاية الكهربائية، وتحاول عبثاً اخماد المرارة السارية في كيانها. من لا يندهش من تصرف كهذا يصدر عن شاب موفور الصحة عاد لتوه من السفر؟ ثم أغرق نفسه في مراجعة حساباتٍ طويلة وأرسل زوجته العروس الى الفراش متحججاً بالعمل مع سكرتيرته التي ربما تتظاهر بأنها كذلك.

بعد ساعات عدة سمعت أصواتاً خفيضة ثم أغلق الباب الأمامي وأطفئت اضواء الردهة، وعادت

الشقة تعم بالظلام والصمت والوحدة مثلما كانت في الشهرين المنصرمين.

في اليومين التاليين لم تر جيمس إلا قليلاً. كان الذنب ذنبها جزئيا. لقد تعمدت ان تغادر الشقة في الصباح الباكر، وقررت ان تجعل من اقتراب العيد عذراً لانشغالها في حال سأل. إلا انه لم يفعل. وغالب الظن انه كان يرحب مثلها بتجنب مواجهة غير ضرورية هذا إلى جانب انشغاله بالعمل.

التقيا صدفة عصر اليوم التالي. كانت قد عادت باكراً الى الشقة، ووجدته جالساً الى طاولة المطبخ ومنهمكاً بتفحص الأوراق المعهودة.

ألقت عليه التحية فرفع بصره إليها ثم نهض ليجلب فنجاناً آخر وقال:«لقد صنعت شايا لتوي. اجلسي واشربي فنجانا.» ثم أزاح لها الكرسي بطرف حذائه الملمع.

«شكراً.» تنهدت وجلست بإرهاق، فهي لم تسترح لحظة طوال النهار، ولم تجد مقعداً شاغراً في القطار فاضطرت للوقوف. والآن نزعت حذاءها تحت الطاولة لتريح قدميها المنهكتين، ورشفت الشاي بامتنان، أما جيمس فكان يشع نظافة وأناقة، وبدا في كامل العافية بالمقارنة مع مظهرها الكئيب، وجسمها المتعب المحتاج الى استحمام

طويل في الحوض. قالت وهي تحاول إخفاء امتعاضها منه:«اعجب لكل هذا العمل بين يديك وقد استغنت الشركة عن خدماتك.»

رمقها بشرود:«ثم بدا أنه توصل الى قرار معين. فحزم الأوراق وشرع يرصها في حقيبته:«أجل، اعتقد ان ذلك يبدو غريبا، ولكنني اريد ان أسلم ملفاتي كاملة ومنظمة، وبطبيعة الحال هناك ايضا اتصالات يجب ان تجرى للمستقبل.» ثم نهض وعدل ربطة عنقه استعداداً للخروج:«أوه، بالمناسبة.»

«ماذا؟»

«اتصلت والدتك هاتفياً قبيل وصولك.»

«حقا؟» كانت قد نهضت لتأخذ فنجانها الى المجلى ولكنها جلست من جديد وقد خانتها ركبتاها. كانت، منذ عودته، تؤجل الاتصال بوالديها، وتقلق بسبب ذلك وتتساءل، كيف ستضعهما في الصورة؟ هل تكتم عنهما سبب عودة جيمس عندما تزورهما في إجازة العيد، أم يتوجب عليها ان تمهد للأمر.»

مضى جيمس موضحا:«بدت متفاجئة بعودتي.»

«من الطبيعي ان تتفاجأ، فأنا لم اجد الوقت لأتصل بهما.»

«بدت مبتهجة ويتوقعان بالطبع ان انضم الى الحفل العائلي في العيد.»

«إذن...» كانت منذهلة من تطور الأحداث فنظرت إليه وكررت:«إذن، ماذا قلت؟ اي عذر قدمت لهما؟»

«عذر؟ لم يخطر لي ان هناك حاجة لاختلاق عذر. لقد شكرتها وقلت إنني اتشوق لذلك اللقاء.» ثم نظر الى ساعته والتقط حقيبته:«يجب ان امضي كي لا اتأخر.»

«جيمس، لا يمكنك ان تمضي وتتركني محتارة! فالوضع سيكون شائكا جدا، وأنا لا اريد ان احزنهما و...»

«هل لك ان تؤجلي الموضوع، يا جاين؟» تنبهت للتعب البادي عليه فرق قلبها ووجدت في ذلك صدى لمشاعرهما. ولاحظت لأول مرة بأن تحت ذلك المظهر الاسمر يوجد رجل مرهق ومتوتر. ولكن، هل الرجال على غرار جيمس برنارد يشعرون حقا بالتعب؟ استطرد:«لا ارغب بتاتا في اقلاق والديك، وأوافقك رأيك بأنه يجب ان نتكلم، إنما ليس الآن. ان ننتظر وان نتظاهر أمامهما بأن أمورنا على ما يرام، رأفة بهما. فانا اشعر بأني أدين لهما بذلك وأكثر مما تشعرين.» اغرورقت عيناها بالدموع فسارت الى المجلى وتشاغلت عنه. ولكنه تقدم ووقف بقربها:«هل توافقينني رأيي؟»

«حسناً.» استدارت إليه متماسكة الاعصاب وأخذت تجفف الفنجان بعزم.

«عرفت، يا جاين.»

فوجئت بما انطوت عليه هذه الكلمة من لطف واستحسان، فأولته ظهرها. ثم لمس كتفها وتابع بصوت مرح:«سوف اتركك اولا حتى تحصلي على العلاج الشافي الذي يدعى باريس، ومن ثم نفكر معا في ايجاد حل، وأعدك بأن يكون حلا سليما. هل انت موافقة؟» عبث مجددا بشعرها الناعم. فأومأت برأسها خشية ان تتفوه بأشياء غبية:«حل سلمي.» ظلت الكلمتان تترددان في ذهنها لفترة طويلة بعد خروجه. شعرت بأنهما تحملان تهديداً معينا لم تدر كهنه الى ان تذكرت بأنهما كثيرا ما تستعملان لوصف طلاق حبي... مع انها لا تؤمن بوجود طلاق من هذا النوع.

عادت مساء السبت متأخرة لتجد الشقة خالية، فبدا أن شراءها اغراض زينة العيد سيذهب سدى. كان جيمس قد تغيب ليلتين متتاليتين، وأملت ان يأتي هذه الليلة. ولكنها عذرته، بسبب انهماكه في إجراء اكبر عدد ممكن من الاتصالات كي يؤمن لنفسه منصبا جيدا في نهاية الشهر.

امضت بضع دقائق في تصفح صحيفة يومية،

وخطر لها ان تطهو لنفسها وجبة مغذية، ولكنها كانت قد أكلت عند الظهر وسيكون اسهل عليها ان تختصر على السانديش والقهوة. فيما كانت تخرج سمكا مدخنا من الثلاجة رن جرس الباب دونما توقع، ووجدت نفسها، تعدو صوبه بلهفة، قبل ان تتذكر بأن جيمس لا يدق الجرس ابدا. انه يدخل دائما مستعملا مفتاحه، خشية ازعاجها، ومع ذلك لعله هو.

عندما فتحت الباب، استطاعت ان تخفي معظم معالم خيبتها وهي ترى ميراندا دي موبراي تقف على العتبة.

كانت ترتدي بنطالاً ضيقاً وسترة مخملية قصيرة وقد اظهرت ابتسامتها لمعان اسنانها الناصعة. قالت وهي تدخل الشقة:«اعتقد جيمس بأنك لن تكوني هنا في البيت، ولذا يسرني انك هنا.»

خاب أملها أنها لا تخرج في السهرات هذه الأيام. قادت الزائرة الى غرفة الجلوس ثم انتابها قلق مفاجيء لا منطقي واستفسرت بلهفة:«جيمس بخير، اليس كذلك؟»

«إنه بألف خير.» اخذت ميراندا تبحث في حقيبة كبيرة كانت وضعتها بقربها على الأريكة ثم اخرجت دفتر ملاحظات وأردفت:«هو بحاجة

لبعض الاوراق المهمة وقد ارسلني لآخذها إليه.»

«فهمت.» لم تشأ ان تهين نفسها أمام هذه المرأة، باستيضاحها المزيد من المعلومات، ولكنها شعرت ان من حقها ان تعلم:«من أين اتيت؟»

«من ابيردين... جئت توا بطائرة الشركة وسوف تقلع ثانية، حالما احصل على هذه الوثائق.»

«فهمت. لا اظن ان لديك وقتا لشرب القهوة؟ لقد جهزتها لتوي.» ولم تدر لماذا عرضت عليها ذلك، فهي ليست مستوحشة الى ذلك الحد.

اجابت ميراندا:«القهوة ستنعشني كثيراً، ومن المؤكد اننا سنتأخر في الاقلاع ريثما يزودون الطائرة بالوقود.»

فتحت دفتر الملاحظات ثم اخرجت نظارة من حقيبتها ووضعتها على عينيها قالت:«هكذا افضل، بوسعي الآن ان اقرأ الكلمات، جيمس يطلب منك ان تسلميني ملف اخضر رقمه 25 موجود في درج مكتبه الأعلى. هل لي ان استعمل حمامك ريثما تأتين به؟»

عندما عادت ميراندا الى غرفة الجلوس كانت جين قد هيأت القهوة على الطاولة ثم سلمتها الملف، فوضعته فورا في حقيبتها. احتست القهوة بنهم ثم استرخت على المقعد بارتياح وقالت:«لم استرح

لحظة منذ الصباح وحتى في الطائرة طبعت بعض التقارير. في بعض الأحيان احس بحنين جارف الى البرازيل. فنمط الحياة هناك أكثر مدعاة للاسترخاء.» ثم هزت كتفيها وأردفت مبتسمة:«من ينظر إلي لا يخمن بأني احمل دما انكليزيا، من عائلة والدي.» «اذن، تعتبرين البرازيل موطنك الأول، اليس كذلك؟» انجذبت جاين الى ميراندا على الرغم منها، وما عادت تشكل تهديدا بالنسبة إليها، كما وجدت فيها شيئا مفعما بالحيوية والجاذبية.

«لقد ولدت في المكسيك، موطن أمي، ولكن عمل والدي كان يضطرنا الى الانتقال المستمر. انما اعتبر نفسي بالتأكيد مواطنة اميركية جنوبية مع ان والدي مستقران في الولايات المتحدة.» وهنا عرضت عليها جين مزيدا من القهوة، فقالت وهي تمد لها فنجانها:«شكرا، قهوتك لذيذة، هناك سر في البرازيل يلائم شخصيتي تمام الملاءمة. قد تكون الموسيقى. لست ادري، ولكنني احب ذلك البلد وخاصة ريو دي جانيرو. خسارة انك لم تتمكني من مرافقة جيمس، ولو انك فعلت لكنت استمتعت كثيرا. اجل خسارة، فذلك المنصب كان واحداً من المناصب القليلة التي تخصص للرجال المتزوجين، ولا تتوفر دائما حتى في شركة ضخمة مثل

اتلانتيك أويل، ومن ناحية ثانية، بوسعي ان اتفهم وجهة نظرك فانا ايضا متحمسة لمهنتي وأتمسك بها.» ثم نظرت الى ساعة الجدار وأردفت:«يجب ان امضي بسرعة.»

اوصلتها جاين الى باب الشقة وهناك توقفت لحظة لتقول:«أوه، طلب جيمس ان ابلغك حبه.» كانت ترفع حاجبيها بتساؤل. ثم توارت قبل ان يخطر لجاين ان تسألها عن موعد عودة زوجها.

شعرت بتوتر عندما اصبحت لوحدها، ولم تتمكن من تحديد اسبابه. لم تكن منزعجة من اكتشافها بأن جيمس تباحث مع ميراندا في أمورهما الخاصة. فهو كان مضطرا لتقديم تبرير ما. عادت الى غرفة الجلوس وأدارت التلفاز من باب العادة لا من باب الاهتمام، ثم خفضت الصوت وراحت تستذكر حديثها مع ميراندا.

هناك شيء حول ميراندا، شيء معين ذكرته، ومع ذلك كانت مثالا للود والدماثة، وطبيعية في تصرفها ولا تشكل اي تهديد لزواجها، حتى لكنتها الغريبة بدت أقل بروزا بعدما اعتادت أذنها عليها. ولكنها قالت شيئا معينا ايقظ فيها جملة من المشاعر المقلقة. فماذا قالت؟ كررت ذاكرتها فجأة الكلمات التي كانت تسبب لها كل هذا التوتر

الذهني. «ولو فعلت. لكنت استمتعت كثيراً. كان واحداً من المناصب القليلة التي تخصص للرجال المتزوجين...» للمتزوجين وليس للعازبين....

لقد انطوت هذه الكلمات على تهديد محدد وهام فما هو؟ ثم صفعها التفسير بقوة جارحة حين ادركت الحقيقة المرة. لا يعقل ان يكون مجرد صدفة كل ما جرى. زواجهما السريع، لهفة جيمس وإصراره على انه يسعى الى ما هو اكثر من علاقة عابرة.

تأوهت باستنكار، وتناولت إحدى الوسائد الناعمة ولفت ذراعيها حولها. ثم عادت بها الذكريات الى تلك الليلة في جزر الكاريبي، حينما اعلمها بأنه مضطر لمتابعة سفره في الصباح التالي. كانت مشاعر الوداع تعذبهما، وهما يسيران على الشاطىء بأقدام حافية، ويتعانقان بحرارة يائسة وقد ابتعدا كثيراً عن الفندق.

قال لها حينذاك:«إذن، ليس أمامنا سوى حل واحد، أليس كذلك، يا حبيبتي؟» كانت صفحة وجهة تبرق كالفضة في ضوء القمر، وتسللت يده الى خصرها.

«ماذا تقصد؟»

«يجب ان نتزوج الآن. او غداً في ابعد تقدير.» هتفت والفرح يهدر في عروقها:«جيمس! هل من

الضروري ان ننتظر الى الغد؟ لماذا ليس الآن؟ هنا، يا جيمس، وعلى التو.»

توقفت يداه عن مداعبتها وقال هامساً في أذنها:«كلا، ليس هنا فلقاؤنا الحميم الأول يجب ان يكون كاملا من كل النواحي وليس...» وضحك بتوتر قبل ان يتابع:«ليس على رمال شائكة. ولكن إذا وعدت بأن تتزوجيني في خلال الايام القليلة المقبلة، فأعدك بدوري بأن أبذل قصارى جهدي ليكون لقاؤنا كاملا.»

قد كان كذلك بالنسبة إليهما. غصت الآن وبكت حزناً، وقذفت الوسادة بعيداً عنها، والآن... داخلها خيط من الشك، هل كان يسعى الى ذلك المنصب في البرازيل قبل ان يلتقيها؟ تلك الوظيفة التي تشترط ان يكون المؤهل لها رجلاً متزوجاً.

كان كل ذلك كثيراً عليها. مسحت دموعها بتوتر. ورفضت ان تمضي في التساؤل والتفكير وعلى الرغم من تصميمها، طرأت عليها فكرة اخرى مقلقة. هل فقد وظيفته لأنها احجمت عن مرافقته؟ لأنه عجز عن احضار الزوجة المطلوبة؟ هل كان هذا يعني، عندما اتهمها بمرارة بأنها هي ايضا استغنت عن خدماته؟ وإذا كان ذلك واقع الحال، فهل ثمة احتمال بأن يصفح عنها في يوم ما؟

الفصل الثامن

كان ذهنها قد اصبح في غاية الصفاء، عند حلول الصباح. ليلة الأرق الطويلة زوّدتها بالوقت الكافي لكي تصل الى قناعتها الخاصة. فضلت ان تواجه الحقيقة، على الرغم من كرهها للاستنتاج الذي وصلت إليه. كان جيمس يعلم بوظيفة البرازيل عندما التقيا، وكونه رجلا طموحا... كل تلك الانكارات السابقة كانت مجرد هدهدات لضميره. وجد في الزواج منها فرصة سانحة لا تعوض، عجز عن مقاومة اغرائها فاستمر يضغط عليها ويرغبها.

تذكرت الآن عباراته تلك وما أسهل التذكر: «حبيبتي، لا اريد ان نقيم علاقة عابرة تنمو وتزهر وتموت في أيام قليلة.» وعندما همّت بالكلام، وضع راحته على شفتيها، وابتسم لها وسط ذلك الليل الاستوائي الرقيق فإذا بها اسيرة مشاعرها. «لا تتكلمي، يا حبيبتي! لن اعطيك اي مجال لتفكري بأي اعتراض ان اقتراحي الزواج هو اقتراح شديد التهور وقد يبدو جنونا لإناس آخرين ولكنه بالنسبة الى شخصين مميزين مثلنا، سيكون خطوة صائبة ورائعة.»

لكن الاعتراض كان ابعد شيء عن ذهنها، فمشاعرها المتقدة كانت تطالب بذلك الزواج الذي سيؤكد حبهما الكبير. لقد كان على حق فهما مميزان فعلا وزواجهما السريع كان الوسيلة الوحيدة لإظهار ذلك.

ليس لديها ادنى شك في انه انجرف مثلها مع تلك المطالب العاطفية العنيفة ولا شيء كان ليقنعها بأن قراره بالزواج منها كان قراراً ماديا، ولكن من اليوم فصاعدا ستظل تحمل في ذهنها هذا الشك الصغير، هل كان ليقنع ويكتفي بعلاقة عابرة معها لو لم يكن يتطلع الى ذلك المنصب في البرازيل وخاصة انها ابدت له رغبتها بوضوح؟ في أي حال، كان عليه ان يطلعها على الامر ويتيح لها الفرصة لإبداء رأيها. ولو فعل ذلك لكانت وضحت له مدى الاهمية التي تعلقها على طموحاتها المهنية، ولكانا نعما بأسبوعين مثاليين.

لقد ظنت انها ذرفت، ليلة امس كل ما لديها من دموع ولكنها عادت الآن تتجمع وتهدد بالانهمار، فشرعت بنشاط غير عادي تقوم بأعمال نهاية الاسبوع المنزلية. رتبت محتويات الخزانة والأدراج في غرفتها وعندما عثرت على صندوق الزينة الميلادية التي اشترتها يوم امس نظرت إليها

باستياء ثم اخفتها خلف بعض الحقائب في حجرة الحاجيات. وبعد ذلك انهمكت في لف الهدايا التي ستحملها معها الى والديها عشية العيد. انها تحب هذا الاجتماع العائلي ولأول مرة في حياتها تتطلع الى موسم العيد بكآبة وانقباض.

قد يكون رثاؤها لنفسها انعكس على جوابها حين رفعت سماعة الهاتف وسمعت صوت زوجها على الطرف الآخر المشوش.

«جاين، انا جيمس.»

«أوه، نعم؟»

«ما أزال في ابيردين ويبدو أني سأمكث يوماً او اثنين. أوه، شكرا على تسليمك الوثائق لميراندا...»

كان رأيها في ميراندا ما يزال يتأرجح بجنون، وشعرت في هذه اللحظة، بسخط عليها فقالت تجيبه:«وهل وصلت بالسلامة؟ لا ريب ان كثرة الاسفار الادارية ترهقها.»

«ربما، فأنت خبيرة في الاسفار.»

اجابت بجفاء:«أوه، لا اظن ان رحلاتها يمكن ان توصف بالادارية.»

«حقاً؟» صمت طويلاً، فأدركت انه كان يذكرها بأنها هي التي اختارت البقاء ومعاناة التنقل اليومي المضجر بالقطار ثم تابع:«لا موجب لأن

تحسدي ميراندا، فعمّا قريب ستقومين برحلاتك الخاصة. وأنا اكيد بأن باريس ستكون أكثر فتنة من اي بلد آخر ستذهب هي إليه. في أي حال، لقد خابرت لأعلمك بأني سأظل مرتبطا بالعمل حتى وقت متأخر من عشية العيد، ولذا اقترح ان تستقلي القطار الى ساسكس بُعيد الظهر، وسوف اوافيك الى هناك. جاين، أما زلت على الخط؟»

«اجل، لقد تبلغت الرسالة.» وتنهدت، فكلما قصر الوقت الذي سيمضيانه مع والديها كلما خف قلقها وتوترها قالت:«قلت انك ستصل في وقت متأخر؟ هل تعرف متى بالضبط؟»

«ربما قرابة العاشرة. ولكن لا تنتظروني على العشاء فأغلب الظن سأكون قد تناولت عشائي وإذا حصل اي تغيّر في البرنامج، فسأتصل بك هناك.»

«حسنا.» أوشكت ان تبكي ولكنها لا ترغب بتاتاً في أن يعرف جيمس مبلغ تعاستها.

«هل الامور على ما يرام في بومونت؟» وللحظة شعرت بالحزن وحنين في صوته... ثم اردف:«هل حطمت مبيعات العيد كل الأرقام السابقة؟»

«اجل، فقد فاقت مبيعات العام الماضي بنسبة خمسين بالمئة.»

«لا ريب انك مسرورة بهذه النتيجة؟»

«اجل، ولكن بعض الفضل يعود للسيدة ديفير بالطبع، لكن...»

«طبعا جين، يجب ان انهي المكالمة، فهناك مخابرة على الخط الآخر سأراك في ساسكس. الى اللقاء.»

في وقتٍ لاحق، حين شرعت بتوضيب ثيابها استعدادا لليوم التالي، عاد التساؤل السابق يلح عليها. لماذا ما ينفك جيمس يعمل طوال الوقت، مادامت الشركة استغنت عن خدماته؟

كانت عشية العيد، بالمقارنة مع رطوبة الأيام الماضية ومطرها، منعشة ومشرقة، على الرغم من الهواء البارد قليلاً الآتي من البحر. لاقاها والدها في المحطة، ولدى وصولهما البيت تناولوا شطائر وقهوة ثم اقترح عليها ان يتمشيا في الحقول، وقال يحثها:«انظري الى ذلك الكلب! علينا ان نرعاه ريثما يعود ادغار وموالي من السفر، وأريده ان يمرح قدر المستطاع.» كان الكلب الذهبي اللون يجثم أمامهما متلهفا للانطلاق.

علقت نانسي:«اشعر وكأننا عدنا الى سالف الأيام. اتذكرين كيف كان براين يطير فرحا بالنزهات؟ فما ان ينهض احدنا عن الكرسي حتى يشرع بخبط ذيله على السجادة.»

«اجل، اذكر.» بلعت ريقها وهي تفكر بذلك الجرو الذي جلبوه من مأوى الكلاب. حنّت إلى الأيام الخوالي عندما كانت الحياة اقل تعقيداً وعاطفية، مع ان قلبها انكسر حين نفق براين، ودفنوه تحت شجرة التفاح في الحديقة الخلفية.

«هل فكرتما انت وأمي في اقتناء كلب آخر؟» سألت والدها وهما يسيران بخطى حثيثة عبر الريف المشجر، وكانت رمت غصناً لجوس، فطارده ورجع به فورا، حيث ألقاه عند قدميها وأخذ ينبح مطالبا برمية اخرى.

اجابها والدها:«كلا، فأمك لا تحبذ ذلك، ولا سيّما انني سأتقاعد قريبا وقد نقرر ان نسافر ولذلك من السخف ان نرتبط برعاية كلب.» استدارا وعادا ادراجهما على درب ضيقة وأردف والدها:«قد تفكران انت وجيمس في اقتناء كلب في المستقبل القريب.»

«كلا، فتربية الكلاب مستحيلة في الشقة.»

«لكنكما لن تعيشا فيها الى الأبد، اليس كذلك؟ لديّ انطباع بأن جيمس قد يفضل يوماً ما ان يستقر في الريف. والآن، وقد عاد من البرازيل...»

قاطعته بسرعة:«من المبكر جدا ان نرسم خططاً مستقبلية.» ثم غيّرت الموضوع بقولها:«اشعر

بالسعادة لأننا اقتربنا من البيت، فالطقس اصبح أشد برودة مع مغيب الشمس.»

«سوف أدخن قليلا قبل ان ادخل. والدتك تحاول اقناعي بتخفيف التدخين ومن الخير ان افعل ذلك.» ثم توقف عند الناصية وأشعل غليونه ونفث الدخان لبضع لحظات قبل ان يتابع سيره. وعندما وصلا امام البيت قال:«يبدو ان لدينا زائر». فالتفتت جاين التي كانت منشغلة بملاعبة الكلب ثم وقفت بلا حراك وحدقت في السيارة التي تعرفها تمام المعرفة.

ظهرت أمها على العتبة وهتفت:«انها مفاجأة رائعة.»

كانت الردهة خلفها مضاءة بأنوار لطيفة ومزدانة بالنباتات المتدلية. استطردت نانسي:«لقد وصل جيمس لكنه صعد الى غرفة النوم ليضع حقيبته فيها.» وقبل ان تنهي كلامها رأت زوجها يهبط السلم بتلك الرشاقة اللينة الملازمة لحركاته والتي ما تنفك تجذبها إليه على الرغم منها. كان يرتدي ثيابا فاتحة الألوان، ويضج بالقوة والثقة والتي استرعت انتباهها، لحظة وقع بصرها عليه لأول مرة في المطار.

«اهلا، يا حبيبتي.» وعندما عبرت الباب انحنى عليها

ولمس وجنتها بوجنته. لم تكن قبلة بالمعنى الصحيح إنما كانت كافية لإيهام الآخرين بأنها كذلك. ثم تابع تمثيله البارع وواصل كلامه مبتسما:«لقد لبيت طلبك كما ترين، بذلت قصارى جهدي كي اتمكن من الافلات.» ثم جسّ خدها بظاهر يده وقال:«أوه، لقد بردت هيا ادخلي الى دفء المنزل.»

اجابته باقتضاب:«برد وجهي فقط.» ثم نزعت الشال والسترة عنها، ودخلت غرفة ايداع الثياب لتعلقها هناك. لما رأت محيّاها المتورد في المرآة، عزت ذلك الى تأثير الهواء البارد، وقد يكون ايضا بسبب رؤيتها جيمس على حين غرة، ثم ازداد توردها حين رأته عبر المرآة واقفا على العتبة ولكنها اشاحت نظرها عنه.

قال معلقا:«ان التورد يلائمك.» فلم يسعها الا ان ترمقه بسرعة. كان ذلك كافيا لإثارة عواطفها، رفعت يدها الى عنقها لتحجب عن بصرها قامته المديدة ولم يكن ذلك سهلا.

لدى دخولها الردهة ابتسمت بارتياح حين رأت أمها تخرج من المطبخ، حاملة صينية الشاي، فسألتها:«هل أحملها عنك، يا أمي؟»

«فكرت ان اهيىء وجبة خفيفة، تسد جوعنا ريثما يحين موعد العشاء.»

تقدم جيمس وأخذ الصينية منها مبتسماً لها ابتسامة أخاذة، سحرت نانسي وأثارت غيظ جاين فعلقت بحدة:«سأذهب لأنادي والدي فهو بحاجة لشرب كوب من الشاي مثلنا جميعا.»

كانت فترة العشاء لطيفة، ومع ان جاين مالت الى الصمت معظم الوقت.إلا ان والديها لم يلاحظا هدوءها لتركيزهما المبتهج على صهرهما العزيز. كان جلوسها قبالته يشعرها بالحلاوة والمرارة في آن، ولكن يجب ألا تدع نفسها تنبهر بحديثه المعسول والممتع، وهو يروي قصة طفولته في الهند حيث عمل والداه في حقل الطب.

سمعت أمها تعلق وهي ترفع اطباق الحساء عن المائدة:«هذا محزن بالنسبة اليك، يا جيمس إذ كنت تأمل ان يرجعا الى انكلترا في الوقت...»

«اجل.» رد متنهدا حين رمقته جاين، وإذا به يخفض بصره. وهنا تاقت بمجامع قلبها ان تنهض وتسير إليه لتريح رأسه الحزين على صدرها. تابع قائلا:«أملت بأن يعودا...» ثم هز كتفيه ورفع بصره، ولما رآها تراقبه كسا تعبيره برود شديد بدا منصباً عليها وحدها.

شعرت بالهشاشة فرفعت يدها الى عنقها كأنما لتحميها من عدو، وحين نظرت إليه ثانية كان يرفع

حاجبيه استكباراً فما عادت تفكر الا في آلامها وكفت عن الاصغاء الى بقية الحوار.

«هذا السمك لذيذ جدا يا أمي.» قالت بعد قليل كي لا يلاحظوا بأنها اخذت اصغر سمكة، واكتفت بحبة صغيرة من البطاطا.

قال جيمس، مقحما نفسه كالعادة:«إنه لذيذ حقاً، يا نانسي وكذلك صلصة الليمون والزبدة التي تذوقتها الآن، لأول مرة.»

«يسرني انها اعجبتك نحن دائماً نتناول طعاماً بسيطا عشية العيد.» نهضت وشرعت ترفع الصحون وأطباق التقديم وقالت لجاين:«هل لك ان تجلبي الحلوى، يا عزيزتي؟» ثم خاطبت جيمس معتذرة:«انها فقط حليب مع خبز وزبدة.»

«لا ريب انها لذيذة مثل سابقاتها التي تناولتها عندكما، فأنت ماهرة في صنعها.»

عندما وصلت جاين الى المطبخ تناهى الى سمعها صوته وهو يقول لأمها:«لو أني عرفتك قبل ان اعرف جاين لكنت سعيت الى الزواج منها بناء على الحلوى اللذيذة وحدها!» ازداد غيظ جاين وأخذت تغسل الاطباق وتطرقها غير مبالية بإخماد مرارتها. ماذا سيفعل تاليا؟ في البداية تزوجها طمعا منه في وظيفة البرازيل، والآن يريد فتاة، لها

أم تتقن صنع مهلبية الخبز والزبدة. اخذت تتساءل اين هو الحب في معادلة جيمس، في حين كان الحب دافعها الوحيد لزواجها منه؟ ولم تتمكن وان كانت ترغب، في معرفة الجواب.

رسمت على وجهها ابتسامة مصطنعة لما اقبلت عليهم بطبق الحلوى وقالت بمرح:«تفضلوا!» ثم جلست على كرسيها وقالت لأمها:«ربما يكون الوقت قد حان لتعطيني بعض الدروس في الطهي، فأنا اجهل تماماً كيفية صنع هذه الحلوى.»

اجابت أمها وهي توزع الحلوى على الاطباق:«سأفعل ذلك في الوقت المناسب، يا عزيزتي، عندما تقررين ترك العمل في بومونت.» وبدا أنها غفلت عن رؤية العذاب المحض الذي ارتسم على وجه ابنتها.

اخرجوا بعد العشاء لعبة سكرابل وكان أمراً مسلماً به ان يشترك الجميع في اللعب. لم تجد جاين عذراً وجيهاً للرفض واضطرت للجلوس قبالته ثانية ومواجهة نظراته. وراحت اثناء اللعب تتململ على كرسيها، وتتثاءب بين حين وآخر، وتربت على رأس الكلب، فتحتاج لمن يذكرها ويحثها على متابعة اللعب.

قالت مرة وهي تحاول التركيز على حروفها السبعة المتنافرة:«أسفة، حسبت ان الدور دورك يا أبي.»

أجابها مبتسماً:«اعلم ان أمك تتهمني دائماً بالتباطؤ ولكن لا يعقل ان اتكاسل الليلة.» ثم أردف شارحاً لجيمس:«اننا نلعب السكرابل عشية العيد كي نعطي المساء فرصة للاسترخاء.»

«الاسترخاء!» وضعت زوجته احرف كلمتها والتقت الاحجار الثلاثة الأخيرة:«لا يمكن لأي سيدة بيت ان تسترخي الا بعد ان تقدم وجبة العيد. ولكن الرجال لا يعرفون معنى العيد. دورك يا جيمس.»

«أجل.» فكر لحظة قبل ان يضع كلمته ثم نظر الى زوجته وقال:«انت متعبة، يا حلوتي.»

لم تستطع جاين اخفاء تثاؤبها وتساءلت في الوقت نفسه عن سبب تضايقها من كلمة التحبب هذه، والتي تعتبرها أقل الكلمات حذقاً بين المفردات. وقد يكون اختارها لأنها كذلك.

التفت جيمس الى أمها وقال شارحاً:«جاين تعمل ساعات طويلة فينتابها الإرهاق. جاين، لماذا لا تأوين الى السرير حالما ننهي هذه اللعبة؟»

السرير؟ هل ذكر السرير وماذا قصد بذلك؟ شعرت بأنفاسها تتقطع وهما يحدقان في بعضهما البعض.

هتفت أمها وهي تضع حروفها الأخيرة على الرقعة:«انتهت اللعبة وسأجمع النقاط. أجل، يا

جاين اصعدي الى غرفتك فأنت مرهقة بالفعل. ولكن تذكري بأنني لن أحضر افطارا خاصا في الصباح، وعلى كل واحد ان يُطعم نفسه حتى موعد الغداء ولذا لا موجب لأن تستيقظي باكرا يا حبيبتي. هل أحمل لك شيئا ساخنا لتشربيه قبل النوم؟»

قالت وهي تعانقها بحنان:«يجب ألا تفسديني بالدلال. انا التي يجب ان اخدمك وليس العكس. اعدك بأن افعل ذلك غدا. وعندما انزل صباحا الى المطبخ سأكتفي بالقهوة كإفطار وبعد ذلك نفتح الهدايا. والآن استأذن بداعي التعب. طاب مساؤك يا أبي تصبحين على خير يا أمي.»

قال والدها:«طاب مساؤك، يا ابنتي سوف استبقي جيمس لأتحدث معه حول شؤون معينة. إنما اعدك بأن لا أؤخره كثيرا.»

اجابته أمها:«أمل ان تحافظ على وعدك، يا آلان، فأنا اعرف كيف تنسى مرور الوقت عندما تنخرط في الأحاديث.»

استلقت جاين على السرير المزدوج العريض، مستسلمة للتعب. من حسن حظها ان والدها تجاهل تأنيب أمها وأعفاها بذلك من التظاهر بالنعاس فيما لو صعد جيمس معها...

في وقت ما من ساعات الليل المظلمة، مدت ساقها على السرير فلامست قدمها قدما اخرى، وطاب لها الاستلقاء في السكون الدافىء وهي بين اليقظة والنوم وطاب لها أكثر احتكاكها ببشرة ايقظت أحاسيسها مما جعلها تغمغم شيئا وتتحرك قليلا وتمد ذراعها بعيدا. فإذا بشيء يمتد نحوها يلامسها بلطف.

عادت تلك اللمسة، وأحست بعد ذلك بثقل ذراع انقلبت جنبها وشعر به.

كانت رائحته الحلوة النظيفة فيها وحولها وراحت يداه تلويان خصلات شعرها وكأنه يبغي تقييدها إليها. قالت في نفسها متعجبة: لماذا يشعر باضطراره الى تقييدي وكل ما اتوق إليه موجود هنا. وكل ما ارغب في فعله هو ان اعطي وأعطي. تناهى إليها صوته من مكان سحيق:«جاين، آه كم اشتقت إليك...» ثم وجدت نفسها تستسلم للنوم تدريجيا وقد غمرها سلام افتقدته منذ مدة طويلة.

في الصباح استيقظت بتمهل وبقيت تحت الغطاء الى ان غزا فكرها خاطرة غريبة جدا، راحت توبخ نفسها... كيف استطعت ان اتخلى عن قراري على هذا النحو؟ ومن دون ان استوضحه عن كل تلك الأمور الجوهرية بالنسبة إلي؟ لماذا لم تخبرني يا

جيمس بأن وظيفة البرازيل اشترطت رجلاً متزوجاً بدل ان اعرف ذلك صدفة؟ أما كان بوسعك ان تثق بي؟ ثم لا تنس انك انت الذي اصررت على زواجنا، وتلك الليلة عندما خابرتك الى البرازيل، لماذا ردّت ميراندا على الهاتف ونادتك من الحمام؟ أوه لا تنكر، فقد سمعتها تناديك و... أوه، لماذا لم استغل حلاوة اللحظة لأحصل على كل الاجوبة؟ كنت سأسامحه بالطبع، ولكن جهلي الآن يشعرني بمهانة كبيرة.

غادرت السرير بقفزة رشيقة واحدة وقررت ان تستجوبه وتبين له اصرارها على معرفة الأجوبة على الرغم من ضعفها الآن. استحمت بسرعة وارتدت الثوب الجديد وكان مصنوعاً من الصوف الناعم ذا لون ياقوتي أزرق. يلتصق بالجسم وله حزام فضي رفيع يبرز نحولة خصرها. سرحت شعرها الأسود، وتبرجت وأخرجت الهدايا من الخزانة.

كان قلبها يقرع كالطبل عندما هبطت الدرج ووقع بصرها على جيمس الذي كان قد عاد لتوه من نزهة مع الكلب. علمت ذلك من والدتها. ولكنها سرعان ما ارتاحت لأن جيمس قصر تحياته على غمغمة حانية عادية وشبه قبلة على وجنتها.

قالت أمها:«لقد انتظرناك على أحر من الجمر، او

بالأحرى انا التي كنت اتحرق فأنت تعرفين لهفتي الى فتح الهدايا، لا سيما أنني سألزم المطبخ حتى موعد الغداء.»

«انا عازمة على مساعدتك، يا أمي.» وانتبهت بأن جيمس كان يراقبها بإمعان فأردفت والدم يتصاعد الى محياها:«هذه هي هداياي لكم.»

هتفت نانسي وهي تتأمل القميص الحريرية الزهرية:«هذه هدية رائعة، يا حبيبتي!» وأردفت شارحة لجيمس:«ان عمل جاين في حقل الأزياء يتيح لي الحصول على هدايا نفيسة كهذه. آه وهذا العطر الرائع منك. انكما تفرطان في تدليلي ولكني سعيدة بذلك.»

قال آلان وهو يعرض الكتاب القيّم الذي تلقاه من جيمس:«شكرا يا بني كنت اتشوق لقراءة هذه السيرة الذاتية الشيقة.»

أما جيمس الذي أعجب بهدية جاين وكانت اشرطة تسجيل لموسيقى روسية كورالية، وفراشي شعر فقد قال:«شكرا يا حبيبتي، أنا لم أر من قبل فراشي كهذه. يبدو انهما مصنوعتان من عرق اللؤلؤ.»

«اجل، لقد عثرنا عليهما في إحدى حجرات خزن الملابس، ويبدو انهما كانتا محفوظتين في خزانة قديمة منذ الثلاثينات.»

هتفت أمها:«هيا يا جاين افتحي هدية جيمس فقد استبد بي الفضول.»

«حسنا.» رفعت الرزمة المسطحة الكبيرة وكانت هدية اصغر ملحقة بها تتدلى بواسطة شرائط، وعلقت مبتسمة لزوجها:«اشعر بأنها لوحة.» وعندما فتحتها اردفت هاتفة:«اجل، هي كذلك! ألف شكر يا جيمس! انظروا جمال هذا البيت المحاط بالأشجار، ولكن من الذي رسمها؟ اقرأ هنا توقيع ايب...»

«إنه ايب فيشر، حسبما قال الرجل الذي باعني اللوحة. وقد كان ايب تلميذ بالمر. هذا إذا استطعنا ان نصدق...» ثم ابتسم ساخرا وهز كتفيه، فأكد بذلك ميله الى عدم التصديق.

هتفت:«لا تسخر منه!» ولكنها سرعان ما كبحت غضبها، وقالت عائدة الى موضوع اللوحة:«تعجبني هذه الخراف التي ترعى على جانب الحقل. يجب ان أطلع على أعمال بالمر فمعلوماتي الفنية محدودة.» ثم حدقت في عنوان اللوحة الباهت وقرأت:«دار بارفلور. اسم غير عادي ولكنه لطيف.»

قال جيمس موضحا:«يبدو ان أيب فيشر هذا كان يحب مقاطعة النورماندي، فأقام فيها طويلا، ولكنه عاد الى انكلترا في أواخر حياته، حيث

اشترى هذا البيت، وأطلق عليه اسماً فرنسياً.»

تفحص والدها اللوحة وقال:«اين تراه يقع؟ هل تعرف يا جيمس؟»

«لا يبعد كثيرا عن هنا، انه في ضواحي امبرلي.»

علقت والدتها:«هذا أمر مثير للاهتمام جاين، ارجوك ان تفتحي هدية جيمس الأخرى، اريد ان اعرف ما بداخلها ومن ثم أعود الى المطبخ مرتاحة البال.»

«الهدية الاخرى...» تضرج محياها وشعرت بنظرات زوجها تتركز عليها وهي تنزع الورق الذهبي عن العلبة الصغيرة، ثم هتفت:«قرطان من الفضة! انظروا ما اجملهما!» ارتجف صوتها ولم تجرؤ على النظر الى جيمس خشية ان تنفجر بالبكاء. قالت أمها باعجاب:«انهما رائعان حقا! قفصان صغيران من الفضة سيكملان روعة ثوبك، هيا ضعيهما.»

ارتعشت اصابعها وخشيت ان تسقطهما، ولكن جاين ثبتتهما وحركت رأسها، أعجب الجميع بتمايلها، إذ كان القصد من تصميم العصفورين السجينين هو اعطاء ذلك الانطباع.

علقت نانسي متنهدة:«يا للروعة! أراهن بأنك اشتريتهما من البرازيل، يا جايمس.»

«صحيح وبطلب خاص.»

«تجعلني اشعر بالحسد كنت اتشوق كثيراً...»

«إذا ذهبت ثانية، اعدك بأن تكوني أول المدعوين لزيارة البرازيل.»

«اتظن ان هناك احتمالاً لعودتك؟»

«ربما، ولكن ليس في المستقبل القريب.»

أعاد هذا المنحى الجديد في الحديث جاين الى الواقع، ووجدت الفرصة سانحة لتطرح السؤال الذي قض مضجعها أياماً طويلة فقالت:«أمي، ليكن في علمك بأن تلك المناصب لا تقلد إلا للرجال المتزوجين ومنصب البرازيل كانت له ظروفه الخاصة... اليس كذلك يا حبيبي؟»

فوجىء جيمس ربما بكلمة التحبب او لأنه لم يفهم مغزى سؤالها. وفي اي حال، لم يكن بمستطاعه ان يتخيل اللهفة الوجلة التي اعترتها وهي تنتظر سماع جوابه. هل سيزيح الثقل الرهيب الجاثم على كتفيها؟ هل سيمحو الظنون التي زرعتها فيها ميراندا دونما قصد، تلك الظنون التي أملت بحرارة ان يثبت بطلانها؟ فإن كانت ليلة أمس قد دلت على شيء فلقد دلت على مدى حاجتها وعلى مدى رغبتها في المصالحة.

كان بريق عينيها الأخضر يشوبه التوسل، فهي

على استعداد لتقبل كل شيء حتى لو اعطاها جواباً مراوغاً. وتتمنى فقط لو تستطيع قضاء يوم العيد هذا في استباق ما سوف يحصل ليلاً عندما يغلقان باب غرفتهما. هذه المرة ستكون مستعدة، كان قلبها يدوي بين ضلوعها ففتحت عينيها استعداداً للابتسام.

لكنه اجابها وعيناه ما تزالان في حيرة من سؤالها:«أكيد ان تلك الوظيفة كانت تشترط رجلاً متزوجاً وإلا لما كنت في وضع يمكنني من التوسل اليك بأن تسافري معي.» ثم أشاح عنها بسرعة وكأنه يردف:ولم يجدني ذلك التوسل نفعاً...

حملقت ببرود الى وجهه المشيح عنها، وقالت تحدث نفسها، وإلا لما خطر لك مطلقاً بأن تتزوجيني، ولكنا مضينا في حبنا وأقمنا العلاقة التي اقترحتها عليك واستغنينا عن هذا العذاب.

لولا وجود والديها في الغرفة لكانت قذفته بهذه الاتهامات بغضب وصراخ بدل ان تكتمها في نفسها وتدعها تشعر بحمى لاهبة.

الفصل التاسع

رغم ان طقس كانون الثاني (ديسمبر) كان معتدلاً ومشرقاً، على غير عادة، إلا ان جاين شعرت بأن الشتاء لن ينتهي. شأنه شأن العذاب الذي عانته في موسم العيد أولاً، ما حصل بينها وبين جيمس العيد، وثانياً سفره المفاجىء في اليوم التالي، والذي كان من المحتمل ان تتقبله بارتياح في تلك الظروف، ولكنه أسفر عن معاناة إضافية. فقد أملت على الرغم من ظنونها، ان تتوفر لها فرصة للمصالحة في أيام العطلة ولكن المخابرة الهاتفية التي تلقاها ظهر يوم العيد وضعت حداً لأملها ذاك.

بعد انتهاء المخابرة، عاد جيمس الى غرفة الطعام حيث كانوا يشربون القهوة وقال:«اعتذر منكم جميعاً فأنا مضطر للرحيل.»

هتفت نانسي بخيبة:«ترحل؟ وكيف يعقل ذلك؟ أوه، لا يا جيمس!»

«بلى، يا نانسي.» ثم حوّل بصره الى زوجته التي كانت ترمقه بذهول وأسى عميق:«أنا آسف جداً.» قالت معترضة:«ولكن اليوم عيد! فماذا تريد الشركة منك في هذا اليوم بالذات؟»

هز كتفيه وقال عابساً:«يبدو ان ابار النفط لا تقيم وزناً للعيد. فهناك حالة طارئة في إحدى منشآتنا في المكسيك ويريدونني ان اختبر بعض الاجهزة الجديدة، سوف اشتريها وأغادر مساءً من مطار هيثرو.»

اخذت نانسي يد ابنتها مواسية وقالت:«خسارة ان تسافر بهذه السرعة وانتما ما كدتما تلتقيان بعد فراق طويل.»

علق آلان:«اجل، حظ سيء جداً يا جيمس ولكنهم اعطوك على الأقل وقتاً لتناول وجبة الغداء.»

«الذ وجبة أكلتها في حياتي.» ولكن محاولته التكلم بخفة لم تمح وجوم الآخرين، ثم نظر الى ساعته و أردف:«ستصل السيارة بعد ثلث ساعة، ولذلك... ساترك لك سيارة الجاغوار يا جاين، فهل بوسعك ان تعودي بها الى لندن؟»

«اظن بأنني سأتمكن من تدبير الأمر.» لم تشعر بأقل رغبة في مسامحته، فالتعقيدات تتكاثر وقدرتها على التنازل محدودة.

قال له والدها:«بوسعك ان تأتمن جاين على سيارتك يا جيمس. فهي اخبرتك حتما بأنها كانت شغوفة بسباق السيارات في فترة ماضية.» كان الرجل يحاول جهده ان يخفف التوتر الذي شعر بوجوده

بين ابنته وزوجها. وأردف:«جاين هي واحدة من نساء قليلات، أئتمنهن على قيادة سيارتي.»

علقت نانسي مصطنعة الغضب:«هكذا إذن؟ الآن عرفت انك لا تثق بقيادتي، شكراً لك في أي حال.»

«مجرد مزحة يا حبيبتي، مجرد مزحة ثم اني قلت واحدة من قليلات، وكان يجب ان أقول واحدة من اثنتين، إنما لا تسألينني اسم المرأة الاخرى كي لا تصابي بالغرور.»

«والان يا جيمس، هل ثمة شيء نستطيع فعله؟»

«لا اظن، عليّ ان أوضب بعضاً من أغراضي جاين ارجو ان تأخذي معك سائر الملابس.»

قالت لها نانسي:«اصعدي، يا ابنتي وساعدي زوجك في التوضيب، ونحن سنرتب الأمور هنا.»

سألت جاين نفسها وهي تتقدم زوجها على الدرج، لماذا لم تشعر أمي التي ولدتني بأني لا ارغب الآن، بتاتاً في الانفراد بزوجي؟ ولما دخلا الى غرفة النوم، لاحقته ببصرها وهو يجمع أدوات الحلاقة من الحمام، ويتحرك بعزم في ارجاء الغرفة ثم أقفل الحقيبة ووقف يرنو إليها وكانت تجلس على حافة السرير. ثم قال متنهداً:«اظن اني أخذت ما يلزمني. هل تقدرين ان تتولي جمع سائر الأغراض؟»

«هل لديّ خيار آخر؟ ولكن هناك شيئاً لا افهمه... حسبت ان عقدك مع الشركة قد انتهى.»

«حقاً؟» وأطلق ضحكة قصيرة ساخرة وأردف:«أهذا ما ظننته؟ الأمر ليس بهذه البساطة.»

«لم أكن لأعلم بأنك من النوع الذي يصبر طويلاً على الأذى.» ولكنها ادركت فوراً خطأها في اختيار الكلمات التي قد يخطىء فهمها.

«ولا أنا.» كان صوته قاسياً وأكدت نظراته بأنه ربط كلماتها بوضعها الشخصي، وبأنه يلومها على ما حصل وقال:«على أي حال، أنا لا أقل عنكم تكدراً من هذا السفر المفاجىء، ولا سيما اننا في أمس الحاجة لنتكلم يا جاين إذ لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو.»

«وهذا رأيي ايضاً.» بذلت جهداً كبيراً للاحتفاظ برباطة جأشها، فلو استرخت لحظة واحدة لانهمرت دموعها كالمطر لتغمرهما معاً. تابعت:«منذ ان عدت من البرازيل وأنا انتظر، وأتحين الفرص للتكلم معك، ولكن...»

«اعرف، اعرف ولكن الأمور كانت تتوالى بشكل محموم. إلا انها بدأت تميل نحو الاستقرار، وقريباً...»

«قريباً... سيكون الوقت قد فات.»

قال بلطف:«لا موجب لأن يفوت، إذا كان كلانا يرغب... جاين ماذا ستفعلين؟ هل تمكثين مع والديك ريثما أعود؟ لا اريدك ان تبقي بمفردك في تلك الشقة في...»

قاطعته:«لم أقرر بعد وقد أقرر العودة غداً بالسيارة تفادياً لزحمة السير لدى انتهاء العطلة.»

«لقد وصلت سيارتي.» ارتدي سترته الداكنه فتطلعت جاين إليه وأحست بقلبها يهوي. فغداً في هذا الوقت سيكون في مقلب العالم الآخر، وهي لا تعرف متى ستراه ثانية.

قال:«من الخير ان امضي يفترض أرجع بعد اسبوع او عشرة أيام.»

«اسبوع؟» لن تكون لديها القدرة على تحمل هذا القلق سبعة أيام اخرى.

اجابها بمرح:«انا ذاهب الى المكسيك، لا الى برايتون! ثم إني سأحاول هناك حل مشكلة معينة. قد تكون صعبة وتتطلب بالتالي وقتا.»

سمع طرقة على الباب ثم خطوات على السلم فقال بسرعة إنما بلطف:«جاين، بالنسبة إلى الليلة الماضية...»

حدجته بنظرة نارية وقالت بصوت كالفحيح:«انسى أمرها، فقد كانت غلطة، هل تفهم! مجرد

غلطة!» غاض الدم من وجهه وران صمت رهيب. نقرت أمها على الباب ونادت:«جيمس، سائقك وصل.»

«حسناً نانسي أنا آت.» وعاد الصمت يلفهما، واستمرا محملقين في بعضهما بعضا فيما صارعت جاين توقها الى لمسة كي تبادره... بماذا؟ بالحنان، بالمصالحة أم ربما بالاعتذار عن نبرتها القاسية ولكن لا جدوى من ذلك في أي حال، فالفرصة ضاعت.

كان يقول:«لقد سمعت قولك يا جاين ولكن...» تنهد وانحنى ليرفع حقيبته. «لا تطلبي مني ان انسى، لا استطيع.» ثم قبل وجنتها وعاودتها الرغبة في معانقته والالتصاق به وعدم السماح له بالسفر. ولكنه مضى قبل ان تجد الفرصة لتتخلى قليلا عن الانضباط الصارم الذي لازمها فترة طويلة وقبل ان تقرر السماح لقلبها بأن يحكم عقلها. أما الآن فما عادت بحاجة الى كتم مشاعرها ويوسعها ان تنفس عن ألم الأشهر القليلة الماضية وشقائها بذرف الدمع الغزير.

تحاملت في وقت لاحق من ذلك المساء على تعاطف والديها إذ قالت والدتها وهي تربت على كتفيها مواسية:«هذا مؤسف جدا يا حبيبتي. يتراءى لي

احياناً ان هذه الوظائف العالية ذات متطلبات كثيرة.»

«صحيح.» وأخرج والدها غليونه، متناسياً أوامر زوجته وتابع بعدما نفث الدخان بسرور:«ولكنها من ناحية اخرى تبرز قدرات المرء. فلقد اخبرني ذلك السائق الشاب بأن جيمس هو الرجل الوحيد في الشركة الذي يستطيع حل هذه المشكلة بالذات.»

هنا استأذنت جاين ودخلت المطبخ حيث رأت على الطاولة ما تبقى من الأوزة المحشوة والملفوف الاحمر والجزر الابيض. شرعت تعيد الأواني الفخارية الى الخزانة وقالت في نفسها وهي تسترجع حديث والديها، وماذا يعرف ذلك السائق العادي عن أعمال شركة كبرى متعددة الجنسية؟

لم تر زوجها منذ ذلك الحين، مع ان غيابه الطويل اشعرها بالمهانة، إلا انها لم تحمله كل اللوم، فأثناء وجودها في باريس عاد هو الى لندن وترك لها الرسالة التالية:«ماذا يجري يا جاين؟ اعتقد أننا اتفقنا على الكلام! ارجو ان تحددي لي موعداً قريباً. اتوقع ان اكون في شتلاند في اليومين المقبلين بوسعك الاتصال بي بواسطة الرقم المدوّن أدناه.»

كانت الرسالة موقعة بالحرف الأول من اسمه.

واستفزتها العبارات الجافة المقتضبة فكتبت جواباً مماثلاً، قالت فيه انها ستكون في البيت من اليوم فصاعداً، مثلما فعلت معظم الأشهر الثلاثة الماضية وستكون مستعدة للتفاهم معه، إذا كان متلهفاً للكلام الى هذه الدرجة، الخ... وقد ألصقت الورقة بمكان بارز في المطبخ ولكن يبدو انه لم يرجع الى الشقة، فلم ير الرسالة.

في تلك الاثناء، انجزت جاين عدد المجلة الخاص بشهر كانون الثاني والذي تطلب منها جهوداً كبيرة، متواصلة لم تذكر لها مثيلاً في السنوات السابقة، ولم يبق عندها الآن إلا تجهيز المقال الرئيسي المصور، حول مجموعة الأزياء الصينية التي اطلعت عليها في باريس.

في نهاية يوم كان مشحوناً بالعمل المرهق، رفعت بصرها عن الأوراق وسألت لوتي:«لا اظنك تحملين بعض حبوب الاسبرين؟»

«لماذا؟ ألديك صداع؟»

«لابأس.» كانت قد بحثت لحظة في الدرج وأخرجت زجاجة صغيرة، وأردفت:«لقد وجدت حبوبي، اجل لديّ صداع رهيب انتابني عند الظهر، سآتي بكوب ماء. أمل ان تكون هذه الحبوب لا تزال ذات فعالية فهي في الدرج منذ امد طويل.»

«مهلاً ياجاين الا تظنين انه لا يجدر بك...»

صمتت لوتي، فاستوضحتها الاخرى باستغراب:«لا يجدر بي ماذا؟»

«اقصد...» كان ارتباكها وتلعثمها جديدين بالنسبة الى جاين. «كل ما يقال حول العقاقير هذه الايام وما تحدثة من تأثيرات جانبية كما لاحظت بأنك عزفت عن تناول قهوتك هذا الصباح.»

«الحق معك يا لوتي، اذكر بأني لم اشربها. لقد تركتها تبرد وأشعرتني مرأى الرغوة بالغثيان هل كان مذاقها غريبا عندما شربتها؟»

«كلا، ولكني سأشير عليك بشيء.» ثم نهضت بسرعة من وراء مكتبها وتابعت:«كنت اتحدث مع غريس عند الغداء وذكرت لي في معرض الحديث بأنها تداوي الصداع بشراب البابونج الساخن. سأمضي اليها وأطلب قليلا منه كي تجربيه.»

تقبلت بشرود فنجان الشراب الأصفر حينما وضعته لوتي أمامها. رشفت منه قليلا وما لبثت ان لوت تقاسيم وجهها وعلقت:«نكته تؤكد إفادته.»

«إنه لذيذ، أليس كذلك؟»

«بل اجده كريه المذاق لكني سأعطيه فرصة ليؤدي دوره. والآن لنعد الى العمل اني احضر رسالة جوابية لمطرزات شيكو في هونغ كونغ، وأظن انه

يترتب علينا اعطاؤها مهلة قصيرة اخرى، فما رأيك؟»

انتهتا من العمل في وقت متأخر وفيما كانتا تهبطان الطابق الأرضي لاحظت جاين ان زميلتها كانت تسترق إليها نظرات تساؤلية فابتسمت لها وقالت:«هيا يا لوتي، اخرجي ما لديك من كلام تتلهفين الى نطقه.»

«أنا؟» تظاهرت بالتعجب ولكنها اخفقت:«كنت اتساءل فقط عمّ إذا كان صداعك تحسن.»

«الى حد معقول لنقل ان البابونج الكريه يشفي سبع حالات صداع من كل عشر.»

«نسبة لا بأس بها، اعتقد ان المداواة العشبية افضل كثيرا للصحة، الا توافقينني رأيي؟»

«لم يسبق ان فكرت كثيرا في هذا الموضوع فأنا قلما امرض ولا اتناول بالتالي الكثير من العقاقير والحبوب لم اكن ادري بأنك تهتمين بالطب البديل.»

سألت لوتي وهي تخرج كليا عن الموضوع:«ما اخبار جيمس؟ اتظنين انه سيعود قريبا؟»

وصلتا الى الرصيف وتوقفتا ريثما تفتح لوتي مظلتها، من المطر الخفيف. ولما عبرتا الشارع اجابتها جاين:«لا ادري متى سيعود بالضبط ولكنه قد يصل في أي وقت.»

«إذن لم تريه منذ شهر تقريباً.» للمرة الثانية شعرت جاين بأن زميلتها ترغب في قول شيء معين إلا انها تابعت فوراً: «حسناً، حينما يعود أخبريه عني ان يسهر على راحتك طاب مساؤك.» ثم اسرعت الخطى في اتجاه موقف الحافلات.

ابتسمت جاين لنفسها وهي تسير الى المحطة يا لحنان لوتي الأمومي، فهي ما انفكت ترعاها منذ ان بدأت العمل كمساعدة لها، وليس في محيط العمل فحسب بل امتدت رعايتها الى حياة جاين الخاصة وهي ستصعق حتماً لو علمت بالوضع الحقيقي لزواجها.

اضطرت للوقوف داخل القطار، وحافظت على توازنها بالاتكاء الى احد الاعمدة، متابطة الجريدة المفتوحة على صفحة التسلية، الحاوية على رقعة الكلمات المتقاطعة، التي لم تتمكن من حل كلمة واحدة بسبب تزاحم الافكار في ذهنها. اسندت خدها بتعب الى العمود المعدني البارد. لقد تحسن صداعها ولكنها شعرت بغثيان عندما انعطف القطار بسرعة وفيما كانت تحاول ابعاد هذا الأمر عن ذهنها، طرأت عليها خاطرة مستهجنة ومجنونة لا يستوعبها العقل جعلتها تبتسم بتسل.

توقف القطار عند محطتها وعندما ترجلت منه

وسلكت الطريق الى شقتها اتجه ذهنها الى اجراء حسابات متنوعة. فالأن داخلها الشك وصعب عليها ان تتخلص منه. ومن دون ان تشعر توقفت أمام واجهة محل مضاء حيث ترددت قليلاً ثم سارت الى الداخل واشترت شيئاً معيناً.

انها حامل! ولم تصدق بالطبع، على الرغم من ايجابية الفحص فلقد سمعت بأن هذا الفحص البيتي يخطىء بنسبة عشرة بالمئة، لذا ستنتظر بضعة أيام اخرى وتجري فحصاً آخر، لمجرد ان تطمئن بالها، فهي واثقة من عدم وجود حمل. كلا... فعيناها المرهقتان المنعكستان في المرآة كانتا خائفتين وغير مقتنعتين، وما هي الا لحظة حتى اجتاحتها موجة غثيان جعلتها تعدو الى الحمام.

تحسنت كثيراً مع حلول يوم الاحد فقررت ان تنفي خوف الحمل من ذهنها. تناولت خبزاً محمصاً وقهوة وهي في فراشها من دون ان تشعر بأي غثيان، الامر الذي اعاد إليها الثقة وجعلها تعدل عن قلقها السابق. وحين استقرت الأمور غادرت الفراش وقررت ان تتمشى في المنتزه القريب ثم تعود الى البيت بعد ان تشتري عدداً من المجلات وتمضي النهار في استرخاء كسول. وفي طريق

العودة عرجت على صيدلية واشترت فحص الحمل ثانية، وحصلت على النتيجة ذاتها.

لم تصدق سهولة حصول الحمل من جراء تلك الحادثة الوحيدة عشية العيد. او ان يحصل لها بالذات، فهي قبل ان تتزوج بسنوات كانت صممت على تنظيم الانجاب واختيار الوقت الذي تراه مناسباً لكل حمل بحيث توقف نشاطاتها الخارجية لتنصرف الى طفلها. كانت دائماً انسانة منظمة وتفخر بذلك، أما الآن فكل شيء طار بعيداً، شعرت بالهوان والرثاء لذاتها فانهمرت الدموع على وجنتيها، والشيء الوحيد الذي طرأ على ذهنها كوسيلة للسلوى، كان فكرة التهام قطعة كبيرة من جبنة الكريما متوجة بمخلل الخيار، إضافة الى فنجان كبير من شراب الكاكاو.

عندما ايقظها جرس المنبه صبيحة يوم الاثنين تأوهت تعباً وجلست بصعوبة، وأحست بعزوف تام عن مزاولة العمل ذلك اليوم. ليس لأن افكارها المتلاطمة ارّقتها معظم الليل، او لأنها عانت سوء هضم موجع، بل أنها شعرت ولأول مرة بفتور همتها وعدم اكتراث تجاه عالم الأزياء وبيع الأزياء. وإذا كان الحمل يؤثر على النساء على هذا النحو فان كل مخاوفها كانت في محلها! تنهدت بأسى وأغمضت

عينيها لترتاح بضع لحظات، عندما استيقظت ادركت بأنها نامت اكثر من اللازم. كان عليها ان تختار بين الاستحمام وتناول الفطور ولكنها اختارت الأول لشعورها بالغثيان. وعلى الرغم من الماكياج السريع، ظل الارهاق واضحاً تحت عينيها الذابلتين واللتين تتألقان عادة بالحيوية. غمغمت وهي تتناول حقيبتها اليدوية عليهم ان يتقبلوني على علاتي وان كان لديهم ثمة اعتراض...

ما ان فتحت باب غرفتها حتى هاجمتها رائحة قهوة تغلي وخبز يُحمص ولحم مشوي، ثم خرج جيمس من المطبخ ووقف يرنو إليها. شعرت بقلبها يقفز فرحاً وفي الوقت نفسه احست بالخوف.

«مرحبا.» تقدم خطوة وتمعن في قسماتها: «وصلت منذ ساعة.» ثم ابتسم بحذر وأردف: «خطر لي... ان نبدأ يومنا بتناول الافطار معاً.»

«أوه!» ودت لحظتها ان تنفجر باكية، او ترمي بنفسها بين ذراعيه او أي شيء آخر لا يليق بها ان تفعله.

«أوه، نعم.» التقط من على المنضدة الرسالة التي تركتها له في المطبخ وقال: «لقد قرأتها.»

«اه!» تذكرت كم كانت عباراتها حادة ومرة وأحست برداً يسري في أوصالها.

«الآن، ماذا ستختارين؟ تناول الافطار ام المبارزة؟» كان يعمل على إغوائها مثلما فعل ذلك الصباح الأول في فندق أوشن باي ولكن، ليتها تتمكن من التجاوب معه بيسر وانطلاق.

تعرّق كفاها وشعرت بدوار. حاولت ان تثبت بصرها على وجهه إلا انه تمايل أمام عينيها فتمسكت بحافة المنضدة.

استطرد محاولاً اقناعها: «شويت اللحم على الطريقة التي تحبينها، والآن هل أقلي لك البيض؟» ومشى باتجاه المطبخ فأحست بهول كلامه يضعفها ويرنحها. يجدر به ان يعلم بأن فكرة تناول اللحم تقزز نفسها وان رائحته كافية لإصابتها بالغثيان. وأسقطت حقيبة يدها على الارض وكمّت فمها براحتها ثم طارت عبر غرفتها الى الحمام حيث حاولت ان تغلق عليها الباب قبل ان تنكفىء على الحوض وتتقيأ.

لم تدر هل لحق بها جيمس أم لا، ولم تأبه لذلك، ولكن عندما رفعت رأسها وسحبت منديلا لتمسح به وجهها رأته عبر المرآة خلفها يتأملها. ثم اقترب منها وعيناه مفعمتان بالقلق ولفّ ذراعيه حولها وأخذ يربت على ظهرها مواسيا. استطابت قربه منها ولكنه ما لبث ان تراجع وقال متفحصا

وجهها: «ما بك يا جاين؟ هل كنت مريضة؟» هزت رأسها نفيا. وتمنت لو يدوم هذا الاحساس الرائع، احساسها بالاستناد إليه والى قوته ولكنها لا تستطيع. كذلك ستتأخر كثيرا عن العمل ولديها موعد هام في العاشرة. حاولت ان تبتسم: «تعلم اني لا امرض ابدا.» وابتعدت عنه بحزم وتناولت فرشاة اسنانها.

«تبدين متوعكة، وقد لاحظت ذلك اول ما شاهدتك.»

اغضبتها ملاحظته فغسلت فمها بتوتر وقالت: «اعتقد ان سبب ذلك، هو القلق الذي عانيته في الاشهر الماضية.» كان مفترضا ان يشفي هذا الاتهام غليلها ولكن الدموع لسعت عينيها وأردفت وهي على وشك الخروج: «سوف اتأخر.»

امسك ذراعها وأدارها صوبه: «لم يكن هذا ما رميت إليه أنا...» بيد ان تلك الحركة العنيفة كانت القشة الأخيرة بالنسبة إليها، اذ اخذت الأرض تميد تحت قدميها وشعرت بنفسها تسقط في هوة عميقة.

عندما صحت من غيبوبتها القصيرة كانت مستلقية على الفراش، واختلط الهدير في اذنيها بصوت زوجها المذعور وكان يتجادل على الهاتف مع سكرتيرة الطبيب

«حسناً، حالما تتمكنين اتصلي بالدكتور فيرفاكس واطلبي إليه ان يخابرني فوراً، فزوجتي مريضة و... أجل افهم ذلك تماماً ولك... إذا لم يتصل بي خلال دقائق سوف اضطر... نعم شقة 24... انه يعرف العنوان شكراً.»

ابتسمت جاين بتعب وأدارت وجهها وقد استبد بها توق الى نوم طويل وعميق لكن ما ان سمعت خطواته حتى استوت جالسة وقالت:«جيمس، لا موجب لأن...»

هتف بصوت يائس آلمها حتى الصميم:«جاين! جاين!» ألصق يدها بخدّه ثم قبل كفها:«لقد انحشر رودي فيرفاكس في زحمة السير لكنه سيأتي الى هنا. كيف تشعرين الآن؟»

اجابته وقد بدأ الثقل ينزاح عن صدرها:«اشعر ببعض التعب ولكنني بألف خير.»

«حقاً؟» بدا مرتاباً، وأخذ يتفحص تقاسيمها وكأنه مصمم على النفاذ الى داخل ذهنها.

«أجل. يجب ان انهض وأذهب الى المكتب حتى لو تأخرت ساعات في الوصول.»

شرعت تزيح الغطاء فأوقفها:«لن تتحركي حتى يراك الطبيب، سوف اتصل بلوتي وأعلمهم بأنك ستتغيبين...»

«ولكني مضطرة للذهاب...»

قال مقاطعاً بصبر ولطف وهو يضع عليها الغطاء من جديد:«متى كانت آخر مرة تغيبت فيها بداعي المرض؟»

«أوه، في الشتاء ما قبل الماضي، حين أصبت بالانفلونزا وتغيبت يومين.» رحبت بفكرة البقاء يوماً في الفراش مادامت غير مسؤولة عن هذا القرار.

عاد جيمس بعد دقائق وقال:«لقد سوّي الامر وفي الحقيقة، بدا لي ان لوتي لم تفاجأ بمرضك وزودتني بقائمة تعليمات. سأمهل رودي بضع دقائق اخرى.» ونظر بقلق الى ساعته.

قالت جاين بضيق واضح:«جيمس، هلا اصغيت الي؟ لا موجب لأن تقلق الى هذا الحد، فليس هناك ما يستطيع رودي ان يفعله...»

هتف بصوت معذب:«جاين؟»

فأدركت بسرعة الانطباع المخيف الذي زوّدته به. هبت جالسة متجاهلة الدوار العابر الذي اعتراها وقالت شارحة:«صدّق بأنني لا اعاني مرضاً خطيراً كل ما في الأمر... سوف انجب طفلاً.»

«طفل؟»

حسبت للوهلة الأولى انه لم يفهم ثم أمحى العذاب من عينيه وحلت مكانه عاطفة لم تتمكن

من تحديدها:«ياه!» تهالك على الكرسي المجاور للسرير، ومرر أصابعه في شعره:«جاين! انا آسف جداً... آسف الى اقصى الحدود.»
عجزت لحظتها عن حبس دموعها.

الفصل العاشر

اسعدها الاستلقاء على فراشها الدافىء، وكانت تسمع بين الفينة والفينة هدير سيارة، وهبوب الريح بين الأبنية العالية ورذاذ المطر المتساقط على زجاج النافذة، وقد اسعدها اكثر من اي شيء آخر اطمئنانها الى وجود جيمس الذي كان يتنقل بهدوء في ارجاء الشقة.
شعرت الآن، وبعدما ملت بمفردها حملاً ثقيلاً ولوقت طويل، بأنها استطاعت ان تسلمه لشخص اكثر قدرة منها على تحمله، ويستطيع في الوقت نفسه على حمايتها والعناية بها.
لقد عاينها الطبيب فيرفاكس واكد وجود الحمل، وطمأنها بأسلوبه الواقعي بأنها على افضل ما يرام. ثم طلب منها ان تقصد عيادته في اقرب وقت ممكن. وخرج من الغرفة مسرعاً.
سمعت بعد ذلك حواراً طويلاً عند باب البيت ترددت خلاله مصطلحات رياضية، وعندما عاد جيمس الى الغرفة قال وهو يهز كتفيه ويبتسم معتذراً:«ما يزال رودي مهووساً بلعبة الروغبي، منذ كنا طالبين في المدرسة، وقد لعب بالطبع مع الفريق البريطاني.

www.liilas.com Forum of affection

كان كلما وضعت زوجته طفلاً يعتبر الأمر تحصيل حاصل، ولذلك يجد موضوع الروغبي اكثر إثارة من موضوع الاطفال! جلس بقربها على السرير وأزاح شعرها عن جبينها وقد بان القلق على محياه، ثم تنهد كما لو انه كان يتشبث بخيط أمل واه:«على اي حال، لقد وقع المحظور وحملت.» خنقها التأثر وأومأت برأسها.

«لا تقلقي، يا جاين، سنجد الحلول المناسبة... وسترين. الآن، اعتقد انك جائعة، الست كذلك؟» أومأت ثانية وابتسمت ابتسامة دامعة. «اذن سأحضر لك طعاما يناسبك فلقد لاحظت عزوفك عن تناول البيض واللحم، فهل كنت مصيبا؟»

«اجل.»

«إذن ما رأيك بخبز محمص وقهوة؟»

«لا اريد قهوة. بل شايا مع شريحة خبز محمصة.»

كانت يرنو اليها بدفء ورقة فتورد وجهها وهي تردف:«سيكون ذلك رائعا.»

بعد قليل جاءها بصينية انيقة عليها عصير برتقال طازج وشرائح خبز محمصة بعناية، وقال:«هيا، سأساعدك على الجلوس.»

تسارعت انفاسها حين اسند ظهرها بيده ثم لامس كتفها وقال من باب المازحة:«آسف، الصينية

تنقصها وردة ندية كي تفتح شهيتك، والآن بعدما تأكلين سوف تأخذين قسطا من النوم، ولا اريدك ان تقلقي بتاتا فسأبقى هنا طوال الوقت.»

اعاد الكرة على موعد الغداء وجاءها بحساء لذيذ، وبسكويت مالح وحبة دراق.

هتفت مشيرة الى الوجبة الفخمة:«كيف استطعت ان تحضر كل هذه الأصناف؟ ان غدائي يقتصر عادة على نصف هذه المواد الأساسية!»

«لا تسأليني كيف ربما لأني انشغلت ساعات طويلة في المطبخ، كل ما اطلبه هو ان تأكلي.»

بعد خروجه ابتسمت لنفسها، اذ كانت واثقة من انه احضر الطعام من محل الاطعمة الجاهزة الذي يوصل لهما الحاجيات الى البيت، ثم اندهشت من نفسها بتناولها كل ما حوته الاطباق. بعد ذلك نامت طوال بعض الظهر من دون ان يخالجها اي شعور بالذنب من جراء تدليل ذاتي كهذا، بل انها ارتاحت لانقطاعها بضع ساعات عن كل ما تتطلبه حياتها اليومية من حركة دؤوبة ونشاط.

لكن مع اقتراب الغروب شعرت بأنها اخذت كفايتها من الراحة والنوم فغادرت الفراش ودخلت الحمام، حيث ملأت الحوض واضافت الى الماء مقدارا وافرا من زيت الاستحمام ثم استلقت في الماء الدافىء

ولم تفكر إلا تفكيراً عابراً في أمور العمل التي بدت لها عديمة الأهمية، الأمر الذي أثار استغرابها.

ارتدت بعد ذلك سروالا مزهرا فضفاضا وبلوزة قصيرة يتراوح لونها بين الأزرق والأخضر، ثم سرحت شعرها وتبرجت بشكل خفيف، عندما غادرت غرفتها شعرت بقلبها يهتز بين ضلوعها كان جيمس في غرفة الجلوس مثلما توقعت، ولكنه بدا على غير عادة يقرأ رواية. حدقت اليه مستغربة، فهي منذ وقت طول لم تر بين يديه سوى ملفات العمل.

نهض حين سمعها تفتح الباب وتقدم نحوها ووقفا ينظران الى بعضهما بعضا، ثم لمس مرفقها بحنان وقال:«حبيبتي كيف تشعرين الآن؟»

اجابته بصدق ارهشها:«على خير ما يرام.» لقد عانت كثيرا في الأشهر الأخيرة. تفحصت وجهه بحثا عن مفتاح لحقيقة مشاعره وأفكاره بدلا من ذلك وجدت نفسها مأخوذة بجاذبيته الفائقة. شعرت بأنها تحلم وهو يعاملها برعاية متناهية فيجلسها برفق على جانب الأريكة ثم يجلس على كرسي منخفض امامها ويرمقها باهتمام شديد و..

«هل اصدقتني الجواب؟» بدا صوته مرتابا ومرت لحظة قبل ان تتذكر حديثهما الآنف.

«اجل.» اصدقتك القول.» وضحكت من دون ان تبعد بصرها عن بصره، ومدركة بأنها لن تكل ابدا من النظر اليه. واردفت:«صدقني يا جيمس، انا بألف خير.» ثم تلألأت عيناها بالدموع وأردفت:«ثق بان الأمر كان نتيجة إرهاق وأرق لا غير.»

لمس يدها وكأنه يعتذر:«متى عرفت بأنك حامل؟»

«منذ بضعة أيام فقط، لوتي هي التي...» وهنا قهقهت قليلا وعجبت من مرحها المفاجىء:«هي التي لفتتني الى واقع الحال.»

تذكرت فعندما خابرتها خيل إلي ان طريقتها في الحديث أوحت بمعرفتها الأمر.»

«اعتقد انها حين لاحظت نفوري من شرب قهوتي الصباحية على غير عادة، جمعت اثنين مع اثنين وخرجت بالجواب الصحيح قبل أي شخص.»

«لوتي التي لا يمكن الاستغناء عنها! ولكن علينا ان نناقش بعض الأمور. اريدك ان تخبريني كيف تشعرين بالضبط، فلا بد ان هذا الحمل كان بمثابة ضربة قوية لك، ولكل ما أملت به وخططت له. ولكن...» تنهد وأشاح بنظره عنها ثم سار الى النافذة ووقف ينظر الى الحدائق المعتمة قبل ان يعود ويسند مرفقه الى رف الموقد ، وأردف قائلا:«كيف سنحل هذه المشكلة؟»

قفز قلبها بين ضلوعها ثم ألقت بظهرها على الوسادة وقد شعرت فجأة بتعب شديد وسألته بخوف:«ماذا تقصد؟»

قال مبتسماً ليهدىء من خوفها:«لا تنظري إليّ هكذا، يا جاين، وخففي من توترك، كان يجب ان اسأل، ماذا تريدين ان تفعلي؟»

من حيث لا تدري أحست غريزياً من تهديد خفي، فوضعت يدها على بطنها وأحست حنانا بالغاً وغير متوقع تجاه الجنين الدقيق الذي سيتحول قريباً الى انسان واضح المعالم والتكوين. هو طفلها وطفل جيمس. تناولت منديلها بسرعة وجففت دموعها وشكرت حظها ان جيمس كان مشيحاً عنها محدقاً في نيران الموقد. ثم تمالكت اعصابها وقالت بنبرة حادة وفاترة:«ان الظروف تحتم عليّ ان اتغلب بنجاح على هذه المشكلة، اليس كذلك؟ صحيح اني لم اخطط لهذا الحمل كما قلت، ولكن بما انه حصل فلا يمكن ان افكر...»

«بماذا؟» تمعن فيها عابساً ومتسائلاً، وبعد صمت قصير متوتر اطلق ضحكة مرة وقال:«بالاجهاض! يا للهول! لم يخطر لي ذلك بتاتاً، هل تتصورين للحظة بأني سأدعك تقدمين على مخاطرة كهذه و...»

قاطعته بصوت متعب وقالت من دون تفكير:«لقد قيل لي بأن خطر الاجهاض خف كثيراً هذه الايام، وهو حتما اقل خطراً من الولادة...»

«آه، في هذه الحالة اعتبر نفسي مذنباً ومسؤولاً عن تعريضك للخطر.» حاولت ان تعترض ولكنه تجاهلها وتابع:«ولو كانت هناك وسيلة لمحو ما حصل...»

«انا لا الومك!» هتفت بالكلمات بغضب وصدق، فهي ما انفكت، خلال الاشهر الماضية، تحمله مغبة كل ما حصل، ولكنها شعرت الآن بتحررها من ذاك العبء الرهيب. ومضت تقول شارحة:«جيمس، كلانا كان مسؤولا... فأنت لم ترغمني، وانا ارفض استعمال كلمة لوم. لقد حملت من دون تخطيط و...» اضطربت لحظة إذ فكرت في تأثير ذلك على عمله الصحافي، اثبتت بذلك تقبلها للتغير الذي سيطرأ على حياتهما، ولانتقالهما من بحبوحة مادية يوفرها راتباهما الكبيران. الى وضع مالي مستير بسبب توقف مدخولهما.

قال جيمس بقلق:«انا المسؤول كلياً عما وصلنا اليه.» واخذ يمرر اصابعه في شعره فلاحظت جاين بأنه اطول قليلاً من المعتاد وأدركت انه اهمل تهذيبه لكثرة مشاغله وهمومه في الآونة الأخيرة.

ومضى يقول:«ما كان يجب ان احملك على الزواج بتلك السرعة.» فانصبت كلماته عليها مثل ماء بارد، وجعلقت به طويلا عاجزة عن الرد الا انه تابع قائلا:«لا اعلم السبب الذي ثناني عن استغلال عرضك... ولو فعلت لكنت اليوم حرة وغير مقيدة الى رجل متعصب.»

«ولكن...» ارادت ان تنكر وصفه لنفسه بالتعصب، وان تقر باصرار بأنها كانت عنيدة وأنانية، ولكن ثمة امرا يجب ان يجلى قبل بحث اي شيء آخر. وتابعت بانفعال:«لو انك فعلت، لما كنت استفدت من وظيفة البرازيل، أوه يا جيمس، الكلمات تعجز عن وصف أسفي وندمي. فأنا كنت السبب.»

فرك جبينه وكأنه يحاول جلاء ذهنه، وقال:«اعذري بلادتي يا جاين، فأنا لا لم افهم بالضبط... ما قلته حول وظيفة البرازيل...»

«ميراندا اخبرتني، وعندما سألتك، اكدت لي بان تلك الوظيفة كانت لرجل متزوج و...»

«هذا صحيح، وليس سرا، ولكني لم افهم شيئا بعد...»

«حسنا...» وهزت كتفيها كما لو ان اظهار اللامبالاة كفيل بتخفيف المها. «لو انك صارحتني بسبب تحمسك للزواج لكنت شرحت لك مشاعري

وبحثنا الأمر واتفقنا على قرار معين، ولكنت وفرت على كلينا كل ذلك القلق...»

«جاين!» هز رأسه بتأنيب لطيف وتقدم منها وهو يبتسم ثم تابع وهو يداعب خدها:«جاين، من اين جئت بهذه الخواطر المجنونة؟ صحيح ان تلك الوظيفة كانت تناسب رجلا متزوجا إنما لم يكن هناك قانون يفرض حالة الزواج. ولكنت ذهبت الى البرازيل حتى لو لم ألتق بك.» وضحك بصوت خافت.

«آه، فهمت...» ولكن صعب عليها ان تفهم، بعدما شرح لها الوضع، لما عميت عن شيء كان واضحا مثل الشمس.

سألها جيمس:«هل اعتقدت فعلاً بأني تزوجتك لكي اكون اهلا لتلك الوظيفة او اخرى؟»

«كلا، لم اعتقد ذلك.» وتعمدت الكذب هذه المرة.

«اعتقدت بأنك لم تشكي لحظة في السبب الذي دفعني للزواج منك.» تخضب محياها وانتابها ضيق شديد. «لندع هذا الموضوع جانبا ولنفكر في الأمور الاخرى التي يجب ألا نتسرع فيها بسبب اهميتها البالغة. انا اعتقد...»

صمت طويلا فشعرت بانه كان ينتظر منها ان تعلق بشيء، ولما احتارت في إيجاد الكلمات

المناسبة لتشرح له معاناتها في الأشهر الأخيرة، غير الموضوع فجأة وسألها:«لا بد انك جائعة فما رأيك في عجة بيض وسلطة؟ ولدينا ايضا خبز فرنسي وسلطة الفاكهة؟»

«يبدو عشاءً ممتازا.» ثم استقرت على جانب الأريكة وسألت:«اتريد بعض المساعدة في المطبخ؟»

«اياك وان تتحركي من مقعدك...»

ضحكت ورفعت يديها باستسلام:«حسناً، لن اجادلك، ثم انني معجبة كثيرا... بقدرتك على طهو اصناف عدة!»

«أجل، لقد انهكني الطهي، ولكني ما زمت مسيرا لا مخيرا فعلي ان اعود الى المطبخ.» ثم اردف وهو يتجه نحو الباب:«عندما تأكلين يجب انت ترجعي الى الفراش وتستريحي، هذا ما اوصى به الطبيب.»

استرخت على الوسائد وسألت بتحد:«حقاً؟ حسبت ان رودي كان اكثر اهتماما بمباراة الروغبي...»

رد ضاحكا:«بالطبع، فلقد بينت لك بأنه مهووس بهذه اللعبة، ولكنه لم ينس بأنك مريضته عندما ذكرته بذلك! في أي حال، كنت سأقترح عليك ان ترافقيني غدا في نزهة بالسيارة، وذلك يتوقف على وضعك الصحي.»

«انا لست مقعدة، يا جيمس، كان الواجب يقتضي بأن اذهب اليوم الى المكتب، ولكن بما انك استحصلت لي على إجازة مرضية فلا أرى سببا يحول دون قبولي...»

«ذلك سيكون مرهونا بصحتك.»

ردت بتنهيدة:«من الممتع ان اعامل كمريضة لفترة قصيرة، ولكن...»

«حسنا، حسنا! سأتذكر ذلك، أوه... بالمناسبة، رأيت لوحة فيشر معلقة على جدار غرفتك.»

«أجل.» كان العبث إعلامه بأنها علقتها هناك كي تكون أول شيء تراه في الصباح وآخر شيء تراه في المساء. فخلال الأيام والأسابيع الماضية بدت اللوحة خيط الوصل الوحيد بينهما. ومضت تقول:«كلما نظرت اليها، أزداد اعجابا بها، شكرا على هذه الهدية الرائعة، يا جيمس.»

«يسرني ذلك.» اجابها برضى خالته يبالغ فيه، ثم خرج مغلقا الباب خلفه بهدوء وتاركا إياها وحيدة في الغرفة التي أدخلها اليها لدى عودتهما من جزر الكاريبي. وتذكرت الآن بشيء من الألم كيف رفعها بين ذراعيه، ودفع دفتي الباب بمرفقيه ثم ادارها في ارجاء الغرفة قبل ان يتهالكا على الاريكة على نحو شبه هستيري.

استلقيا عليها لبعض الوقت يرمقان بعضهما البعض فيما اخذت ضحكاتها تخف بالتدرج، ثم أرخت يديها المشبوكتين حول عنقه ولفت ذراعيها حوله وعانقته.

حدقت الآن في نار الموقد والذكرى توهج عينيها، ليت المرء يتمكن من البقاء في قمة السعادة الى الابد. في وقت من الأوقات ظنت بأنهما سيفعلان لأن حبهما كان مميزا جدا، وفريدا. والآن لا تطلب من دنياها الا ان تستعيد بعضا من ذلك الحب.

لكن شكا عميقا ساورها حين قفز الى ذهنها جزءا من عبارة قالها جيمس قبل قليل، ثم تذكرتها كاملة فنهش العذاب قلبها:«ما كان يجب أن أحملك على الزواج بتلك السرعة.» واخذت الكلمات تتردد في ذهنها وعبثا حاولت طردها، فهي متأكدة من أنه استعمل هذا التعبير بالذات، وحز الألم في نفسها.

الفصل الحادي عشر

على الرغم من رعاية جيمس لها، ألمها كثيراً ان تظل منفصلة عنه في الغرفة الصغيرة. فهي مكتفية بمتعة الاستلقاء الى جانبه والشعور بدفئه. كان يكفي لاسعادها ان تمد يدها في ظلام الليل وتهمس باسمه ما عدا... ابتسمت وتذكرت النتيجة التي اوصلهما إليها لقاؤها الحميم عشية العيد. وضعت يدها على بطنها باندهاش ثم استسلمت للنوم خلال دقائق.

استيقظت صباحا من نعاس مريح، فإذا بجيمس يقف عند سريرها وبيده فنجان شاي، ولما استوضح عن حالها اكدت له بصدق بأنها على خير ما يرام. ثم استوت جالسة وأزاحت شعرها عن جبينها. فعلق وهو يتأملها:«إني لأتساءل إذا كان هذا اساس المشكلة.»

«ماذا تعني؟» تناولت الفنجان من على المنضدة. اجابها:«اعني انك كنت دائما تغادرين فراشك صباحا بسرعة العاصفة. ولربما من الخير ان تأخذي الأمور بروية...» ثم اتجه صوب الباب فحاولت التغلب على خيبتها. فمن غير المنطقي ان

تتوقع... وخفقان قلبها هذا لا يعني بالضرورة...
رفعت الفنجان وشربت الشاي المتعطشة إليه.
«انه لذيذ، يا جيمس، مثلما احبه تماماً.» قالت ذلك لمجرد ان تحتجزه بضع لحظات اخرى.
غمغم شيئاً لم تفهمه، ولاحظت موقفاً غريباً في تصرفه. إذ كان يتمسك بالباب وكأنه درع، أما هي فكانت تلهث وتصوب إليه نظرات حالمة وكأنها تعي لأول مرة شيئاً عرفته دائماً، وهو انها زوجة لأروع رجل في الدنيا. فقد بدا مميزاً حتى في الثياب العادية التي يرتديها. ثم ادركت بأنه ينتظر منها جواباً عن سؤال ما، احست بالسرور وقالت:«آسفة، ماذا قلت؟»
رد بصوت جاف جعلها تقشعر:«طلبت منك ان تلزمي فراشك حتى آتيك بطعام الافطار.»
«حسناً.»
«بعد ذلك فقط سنقرر ان كنت في حال صحية جيدة تمكنك من مرافقتي الى ساسكس. في أي حال، الطقس يبدو جيداً، وتقول الارصاد الجوية انه سيكون مشمساً بعد حين.»
«حسناً، يا جيمس.» كانت مثالاً للزوجة المطيعة، وعرفت من تألق عينيه بأنه لم يكن يقل عنها تسلياً بهذا الوجه الجديد لشخصيتها. اغلق الباب بسرعة،

تاركاً إياها من دون شيء تفعله، سوى النظر الى صورتها في المرآة المقابلة للسرير، والتساؤل عن السبب الذي جعلها ترتدي قميص النوم هذا من دون سواه. رفضت الاقرار الكلي بأنها هدفت الى سحر زوجها.
لم يسمح لها بمغادرة الفراش إلا في الساعة العاشرة، وأمضت ساعة بعد ذلك في الاستحمام ارتدت ثيابها واختارت ان ترتدي البلوزة الحريرية الخضراء التي كانت ترتديها يوم سافرت بالطائرة الى جزر الكاريبي، كون لونها يزيد عينيها اخضراراً. بعد انها عزفت عن لبس التنورة القصيرة التي ما عادت تليق بامرأة حامل، واختارت بدلا منها تنورة صوفية بنية متوسطة الطول مع شال بني طويل بدا أنيقاً وواقعياً مع الجزمة البنية المصقولة.
اخيراً، تفحصت مظهرها في المرآة ووجدت انها تجسيد حي لعالم الأزياء الرفيع المستوى الذي تعمل فيه.
كانت شاحبة قليلاً فوضعت شيئاً من أحمر الخدود، ووضعت احمر شفاه زهري اللون مع بني إنما تركت عينيها من دون ماكياج واكتفت بتسوية حاجبيها الداكنين المقوسين بأصبعها الرطب، واكتملت زينتها باستثناء شيء واحد...

وبيدين مرتعشتين وضعت القرطين الفضيين، هدية جيمس إليها في العيد.

«هل انت مرتاحة؟»

كانا قد انطلقا بالسيارة منذ ساعة تقريباً عندما طرح السؤال، وكانت تشعر بالنعاس بفعل الدفء والموسيقى الحالمة الناعمة.

«أوه، اجل، انا في غاية الراحة.» قالت ذلك وقد نسيت تماماً خوفها السابق من ان تصاب بالغثيان وتفسد متعة الرحلة.

«من المفترض ان نصل قريباً.»

«حسناً.» لم تكن تدري اين سيذهبان ولماذا، وانما خطر لها ان رحلتهما تتعلق ببحثه عن عمل، وفي هذه الحال، سوف يرتاح اكثر إذا ما سلت نفسها لبعض الوقت. قالت له بناء على هذه الخاطرة: «بوسعك ان تنزلني في اي مكان، يا جيمس.»

«انزلك؟» وهنا انعطف بالسيارة عن الطريق الرئيسي ثم خفف سرعته ومر بين عمودين حجريين مكسوين بلبلاب كثيف قد اصفر بعضه، ممرا تقوم على جانبيه اشجار. كان سهلا عليها ان تتخيل كيف سيبدو هذا المكان في فصل الربيع، خضرة وأزهارا وعرائش يانعة، مشهد انكليزي بحت لوجود مروج على جانبيه، وكانت جاين متأكدة من ان

المرج على الجهة الشمالية يؤدي الى جدول رقراق تغطي ضفتيه زهور الحوذان...

«لقد وصلنا!» وإذا بهما يخرجان فجأة من بين اشجار تظلل مجموعة ابنية ويتوقفان على فسحة مرصوفة بالحصى، أمام منزل.

«جيمس...» كانت قد فكت حزام الأمان وأخذت تتفحص معالم البيت الذي بدا مألوفاً جداً إنما مختلف على نحو مراوغ. وما لبثت ان هتفت بانفعال شديد: «جيمس، إنها دار بافلور! يا لبراعتك في ايجادها!» ثم ترجلت من السيارة.

اسندت ظهرها الى السيارة علقت وهي تستعرض شكل البيت: «انه أكبر مما تصورت... وهذه هي النوافذ الاضافية التي تعلو الباب الامامي. ولكن بعض الاشجار مختلفة.»

«ذلك لان قرناً مضى على تاريخ رسم اللوحة ومن الطبيعي ان تتغير بعض المعالم.» ابتسم وأضاف ملوحاً لها بمجموعة مفاتيح: «اعتقد انك متلهفة لرؤية البيت من الداخل.»

«كيف فعلت ذلك؟»

«آه.» فتح الباب الأمامي فإذا بهما في بهو بسيط الشكل ذي ارضية خشبية مصقولة الى منبسط معمد. وتابع جيمس: «سأروي لك القصة لاحقاً.»

أجاب وهو يمسح دموعها:«ولكننا بدأنا نكوّن هذه العائلة.»

ثم رفع وجهها وأردف مبتسماً ومعاتباً:«أما بالنسبة الى رأيي في زواجنا، فمن أين اتيت بهذه الفكرة المجنونة.»

«منك. فأنت قلت ذلك يوم أمس.»

«لكنك حرفت عبارتي ببراعة. فالذي قلته وقصدته، هو ان اصراري على سرعة الزواج كان فيه الكثير من الظلم والأنانية. ولكنني همت بك. وخشيت ان منحتك فرصة لتفكري أن...»

«أواه يا جيمس!» وغمرتها سعادة مجنونة لا توصف.

فلمست وجهه بتردد وأردفت:«إياك وان تقول ذلك!» ثم غطت فمه بأصابعها كي تمنعه عن أي احتجاج او انكار وتابعت:«لا تنسى أنني ايضاً كنت في لهفة، او بالاحرى لم اكن أقل منك تلهفاً الى الزواج.» وتوردت خجلاً من تلك الذكرى.

«اطلق ضحكة عميقة، جعلتها تبتسم لها بتعاطف، وقال:«لا، لم أنس. ولكن بما انني اكثر خبرة منك، كان علي ان أكبح جماح تلهفنا وأمنحك وقتاً أطول. فأنا اشعر الآن بأني حرمتك من شيء ثمين ومهم بالنسبة للنساء... مرحلة التودد والخطوبة التي يجب

ان تقطع بعناية وتمهل كي تتيح المجال للتعارف المتبادل... فليتني لم احرمك إياها. أما الآن...»

قالت وهي تلصق يده بخدها:«جيمس، لقد منحتني كل ما رغبت فيه. لا تلم نفسك على أي شيء... فلو اعطيت الخيار لتغيير مجرى الأمور لما غيرت منها شيئاً.»

قال وهو يعانقها بلطف:«لقد قررت، تعويضاً عن اخطائي الماضية، ان اعطيك ما تحتاجين إليه من وقت وفسحة، مع ان رغبتي تلح علي...» ابعدها عنه قليلاً وأردف مبتسماً:«من الخير ان اتوقف عند هذا الحد بل من الخير ان نغادر هذه الغرفة ليظل قراري ساري المفعول. هيا بنا الى الخارج لأريك الحدائق...»

لحقت به بتردد، ولكن عندما شاهدت المباني الاضافية الفسيحة، ابدت اهتمامها بمشاريعه لتحويل قسم منها الى بيت سكني في حال احتياجهما مستقبلاً الى من يعمل في المنزل والحدائق.

«هناك شيء لا افهمه، يا جيمس.»

كانا قد عادا الى المطبخ، وكان منشغلاً بسلة الطعام التي اخرجها من صندوق السيارة ويفرغ أدوات الطعام. عندما تلاشى صوتها نظر نحوها وسألها وهو يضع كوبين على الطاولة:«ما هو؟»

ثم سارع الى سكب العصير وناولها كوبها.
رشفت رشفة وقالت:«كيف تستطيع ان تشتري منزلاً كهذا وأنت بلا عمل؟» ثم تابعت تقول باندفاع ومصارحة:«حسبت بأنني سأتمكن من اعالتنا معاً ريثما تجد عملاً آخر. ولكن لا اظن ان راتبي سيكفي لدفع ضرائب على بيت كهذا، كان بودي ان افعل، ان احاول التعويض عن تقصيري تجاهك... ولكن الحمل فاجأني وما عدت متأكدة من مصير عملي في الشركة.»
قطب حاجبيه ثم قال وهو يجلس بقربها:«جاين، انسي امر الشركة في الوقت الحاضر، لأن السؤال الجوهري الآن هو رأيك في الحمل الذي لم ترغبي في حصوله. ولكن بما انه حصل فما هو شعورك تجاهه؟»
اجابت قائلة بعد ان فكرت ملياً وكان جوابها غريباً عن شخصية جاين برنارد، رئيسة التحرير المرموقة:«اشعر بالفرح والإثارة، لم يخطر لي قط بأنه سيأتي اليوم الذي اقول فيه هذا الكلام.»
«انني مسرور جداً على ما قلته، يا حبيبتي! أما الآن، فمن الافضل ان اصارحك بوضعي. إن فائض الحاجة في الشركة كان امراً تقنياً. وقد أعيد تنظيمه بالكامل، وحيث دمجت بعض المراكز

ووزعت حصصها، ولما اطلعت على ما يجري، حاولت جهدي كي أعود الى لندن وإليك.»
«جيمس...» غمغمت اسمه والغصة تخنقها، وتساءلت عما إذا كانت ستتمكن يوماً من التعبير له عن مدى أسفها...
هز كتفيه وابتسم، ومع ذلك عجز عن اخفاء مشاعره المنجرحة اخفاءً كاملاً:«شعرت وقتئذ بمرارة عميقة ولم اقدر ان اصدق رفضك مرافقتي، وبرحت، بعد ذهابي، اتوقع وصولك من المطار... وعندما رجعت تلك الليلة وقلت لي بأنك ستخرجين مع آرثر ديفيز استبد بي الغضب...»
هتفت تقاطعه:«لا اصدق بأنك غرت منه!»
«مثلما غرت انت من ميراندا.»
«ذات مساء استبد بي الحنين إليك، فاتصلت بك هاتفياً ولكن ميراندا أجابت وقالت انك تستحم وسوف تناديك لتكلمني... وكان طبيعياً ان أغار.»
وهنا تذكرت رد فعلها العنيف فأردفت بصوت مرتعش:«بل شعرت بغيرة مجنونة ووحشية.»
حملق بها مفكراً ثم هتف:«آه، تذكرت... إذن انت التي خابرتني آنذاك؟ صحيح. لقد نادتني عندما كنت استحم، وكانت قد جاءت الى شقتي لتأخذ بعض الملفات.» ثم ابتسم فجأة وتابع وعيناه

تلمعان بمكر:«قد يهمك ان تعلمي بأنها اصطحبت معها حفيدها البالغ من العمر ثماني سنوات.»

«حفيدها...؟» صعب على ذهنها ان يستوعب كل هذه المعلومات دفعة واحدة:«لم أدر في الأساس بأنها متزوجة.»

«هي ارملة... ولكن هذا لا يمنع حقيقة انها جدة. وأود بالمناسبة ان اؤكد لك بأنه على الرغم من تقديري لكفاءتها المهنية إلا انني لم اغرم بها يوماً، ولا احسبها اغرمت بي. والذي اعرفه منذ ان عرفتها، بأنها مرتبطة عاطفيا بزعيم سياسي بارز في البرازيل. وهكذا ترين ان كلا منا لم يهتم بالآخر رومانسيا.

«حقاً؟» كان لجاين رأي خاص حول هذا الموضوع، ولكن بعدما اطمأنت الآن الى وضع جيمس، لم تشأ ان تفكر في ميراندا، ثم ان هناك امراً آخر مايزال يقلقها، وسألته:«وأنت لم تترك شركة اتلانتيك أويل؟»

«كلا.» ثم أخذ يدها وطبع قبلة على كفها:«أنا الآن المدير التقني لشمالي أوروبا. انه مركز مرموق ولذا لا موجب لأن تقلقي بشأن البيت، فبوسعنا ان ندفع ثمنه بسهولة. اعترف بأني اتبعت اساليب ملتوية، فهل بوسعك ان تغفري لي ذلك؟ لم يكن

فعلي مقصوداً ولكن الفكرة تملكتني يوم عدت الى لندن وصعب علي التخلص منها. اعتقد أني كنت احاول ان افوز بكِ.»

«لقد نجحت حتماً في حملي على الشعور بالذنب. وربما كان ذلك مقصدك.»

«لا اصدق ذلك، ولكن اخبريني، هل حقاً شعرت بالذنب؟»

«بالطبع ايها البائس! فلقد تعذبت كثيراً لاعتقادي بأن عنادي قد افقدك وظيفتك.»

«إذن انت تعترفين بأنك عنيدة؟»

«عنيدة ومتصلبة وطموحة و...»

وضع اصبعه على شفتيها:«كفى، فأنت تتكلمين عن المرأة التي أحب، عن أم أطفالي...»

قاطعته بحدة:«أم طفلك؟»

«يسعدني ان ابدأ بواحد، ولكنك... ذكرت الطموح وهذه صفة لم تحاولي ابداً اخفاءها عني ولا تظاهرت يوماً بأن مهنتك ليست مهمة بالنسبة إليك. فما هو شعورك الآن؟»

تكلمت بتمهل، وكأنها صارت الآن على استعداد لمواجهة حقائق معينة:

«لا انوي ان اترك طفلي...طفلنا في رعاية شخص سواي. فلقد عرفت اناساً عديدين اشتكو من

بعض المشاكل التي تسببها بعض المربيات.»
«لكن هناك مربيات جيدات ايضا.»
«أكيد، إنما لا يخلو الأمر من المجازفة.»
«في أي حال، سيكون القرار لك وحدك في هذا الشأن، ولكن هناك امرا آخر، فكرت فيه مليا في الأيام الاخيرة الماضية وهو تأسيس محل صغير للأزياء النسائية، فهل تعتقدين ان المنطقة هنا تتحمل محلا كهذا؟ بوسعي ان أقدم لك معونة مالية حتى تتمكني من الوقوف على قدميك...»
«جيمس، يا لها من فكرة سديدة ورائعة!» تكلمت بصوت خفيض وتفكير.
«تعرفين رؤساء الشركات المختصة، أليس كذلك؟»
«اجل.» أردفت وعيناها الخضراوان تبرقان بإثارة وانفعال:« ما رأيك بتلك الحظيرة اللطيفة القائمة خلف المنزل؟ ألم يخطر لك انها قد تكون موقعا ممتازا ورائعا لبيع الملابس الريفية الأنيقة؟»
أجابها بحذر:«لا. لم يخطر لي ذلك.»
«بوسعي ان اتخيل محلا للأزياء في مكان كهذا... أوه، جيمس، لن امانع كثيرا في توظيف مربية ما دمت قريبة من البيت وأستطيع بالتالي ان أراقب طفلنا عن كثب.»
«يبدو وكأنك رسمت كل شيء بدقة، لهذا أنا

اكيد من نجاحك الباهر في هذا المضمار.»
«انت تضحك مني، أليس كذلك؟» ولما ضحك بالفعل، شاركته الضحك الى أن اجبرت على مسح بعض الدموع، وتابعت وهي تحاول ان تبدو وقورة:«لم اعن اني سأشرع الاسبوع المقبل في التأسيس. ولكنه مشروع جدير بالتفكير والتخطيط. سوف اسميه أزياء جاين برنارد.» ثم جعدت أنفها وأردفت:«كلا، انه يفتقر الى الحيوية لاختيار اسم أنيق.»
اسرع جيمس يفتح أغطية علب الطعام المختلفة:«هيا نأكل، لا ريب انك تتضورين جوعا مثلما اتضور انا. جلبت طيورا محمرة، وسلطة بطاطا ولحوما باردة. ان كنت تفضلينها...»
تناولا الطعام وهما يتبادلان الابتسام ويتأملان بعضهما البعض، وكانت جاين تعيش سعادة كبيرة لم تعرفها من قبل، الأمر الذي حملها اخيرا على القول بصوت حالم ورومنسي:«جيمس؟»
«نعم؟» وكانت عيناه حانيتين وواعدتين.
ثبتت اصابعها حول كوبها وحدقت في العصير الذهبي ثم رمقته من بين اهدابها الطويلة وسألت:«كيف سيكون رد فعلك لو دلقت عليك هذا العصير؟»
نهض بتمهل ودار حول الطاولة ثم رفعها إليه

بقوة عنيفة بحيث وجدت نفسها تقف على رؤوس اصابعها، واستطاعت لشدة قربها منه ان تسمع خفقان قلبه المحمومة وهي تتحد مع خفقات قلبها. ثم قال:«تعلمين جيداً بأنني عقدت اتفاقية مع نفسي تنص على وجوب اعطائك وقتاً. لقد اقسمت بأن لا استعجلك لتستمتعي بمرحلة التودد...»

«كفى! لا تكمل، يا جيمس برنارد. ألم اقع في حبك عندما كنت متهوراً وأنانياً... أوه، اعني اني لا احتاج مزيداً من ذلك التودد في الحاضر.»

شهقت على الرغم منها، ثم ابعدها قليلاً ليحملق فيها وسرعان ما استرخت تعابيره وابتسم... وبعد ذلك رفعها بعناية ورفق، وعبر بها المطبخ الى البهو وشرع يصعد الدرج.

استيقظت جاين مع غروب شمس الشتاء، وتمطت بكسل ناعس، ثم انتبهت بأنها في سرير غريب، فأدارت رأسها بحدة فإذا بزوجها يتأملها بصمت وتركيز:«أوه، جيمس...!»

«تبدين مندهشة، هل توقعت رؤية شخص آخر؟»

«كلا، فأنت خياري الأول والأخير...» ولمست اصابعه:«جيمس.»

«نعم يا جاين؟»

«لا شيء. اردت فقط ان انطق اسمك.» وتبادلا

الابتسامات الحميمة. سألته:«اتظن ان صديقك، الذي يعتزم بيع البيت، سيتكدر من استعمالنا لسريره؟»

قال وهو يبعد خصلة شعر عن عينيها:«إنه سريرك. وهذا بيتك وكل ما فيه لك، فهو أراد بيعه بكامل أثاثه فاشتريته آملاً في موافقتك. ولكن إذا رغبت في تغيير بعض...»

«كلا. فهو كامل من كافة النواحي وأحبه كما هو.»

«وهناك الحجرة الصغيرة غير المفروشة. ستكون غرفة طفلنا وبوسعك ان تفرشيها كما يحلو لك وبأي ثمن.»

«اجل.» واستغرقت بضع لحظات في التفكير تحلم بورق جدران مزين بفراخ البط وبفرش مهد مماثل، الى ان احست به ينفر احد قرطيها بظفره، وسألها باسترخاء وكسل:«عندما سئلت مارلين مونرو عما ترتدي في الفراش، اتذكرين جوابها؟»

«لدي شعور بأنك ستخبرني ذلك.»

«قالت انها تضع عطر شانيل.»

«جواب مفعم!»

«حسناً، انطلاقاً من ذلك، سأسألك ان كنت تضعين الأقراط وأنت على السرير.»

«هما هدية من حبيبي ولا أقوى على فراقهما. ولكن من المحزن انني لم اتمكن من شكره كما يجب.» قال وعيناه تبرقان بمكر:«حسناً، إذا اردتٍ ان تشكريه الآن فأنا أكيد بأنه سيرحب بك دائما.»

تمت

www.kilas.com
Deprived of affection